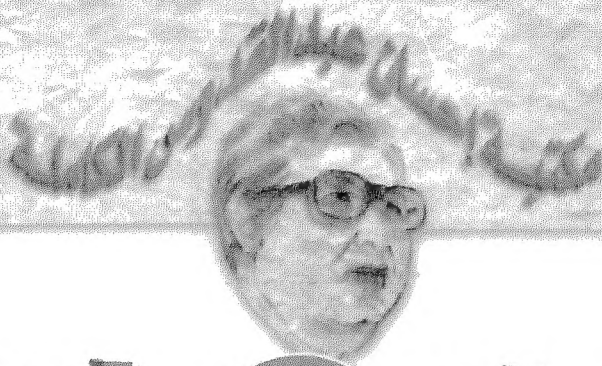


طاع الثقافة



أيام شبلي



إحسان عبد القدوس

مطبوعات



قطاع الثقافة

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سمعده

أخبار اليوم

قطاع الثقافة

**دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة
جمهورية مصر العربية
٦ ش الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠**

إحسان عبد القدوس

أيام شبابي

مقدمة

أيام شبابي

أحب ما اعتز به هو أن لى دائما قراء فى سن الصبا .. السن التى تتأرجح بين العاشرة والعشرين.. وكل جيل منهم يكبر ويصبح جيل زوجات وأمهات وآباء.. وكلما التقيت بأحد أفراد الجيل الذى كبر أجده لا يحدثنى عما يقرأه لى الآن بل عما كان يقرأه لى فى صباه ، كان ما قرأه هو جزء من ذكرياته التى لا ينساها ، وعنصر من العناصر التى أقام عليها شخصيته وتكوينه الفكرى.

وهذا ما يجعلنى أحس بأنى أحمل نحوهم مسئولية أقرب إلى مسئولية الأب.. بل إنى غالباً ما أخاطبهم بلهجة وأسلوب الأب وأناديهم .. ابنتى.. أو ابنى.. وهو ما تعترض عليه زوجتى لأن بين بناتى الآن أمهات لهن أحفاد.. وبين أبنائى رجال يخطون نحو سن المعاش.. ولكن زوجتى تعذرني عندما تقدر اعتزازى بأن أكون أباً فكرياً وروحياً لأجيال بعضها يجمعنى بها نفس الجيل وبعضها أجيال جاءت بعدى.

والأب يفرح بنجاح أولاده.. وأنا أفرح عندما ألتقى بـ زوجة ناجحة وأم ناجحة تحدثني عما كانت تقرأه لى قبل أن تتزوج وقبل أن تصبح أما.. وتروى لى ضاحكة كيف كانت تشتري روز اليوسف من مصروفها الخاص، وتقرأها سرًا حتى لا يضبطها أبوها أو أمها.. كان الجيل العتيق يحرم قراءة روز اليوسف على الأولاد والبنات حتى لا يعيشوا مع فكرى ويتأثروا به.. ولكن سنة التقدم والتطور هى دائماً أقوى من أن يصددها القدامى المتجمدون فلم يستطيعوا أن يحرموا الجيل الجديد من قلمى.. وكنت أنا دائماً مطمئناً إلى أنى سأصل إلى قرائى.. حتى عندما كانت تشتد الحملات ضدى وضد ما أكتبه من دعوات وآراء اجتماعية وسياسية ، كنت مطمئناً إلى أنى سأجد قرائى ولو بعد أن أموت، ككثير من الكتاب الذين لم يصلوا إلى قرائهم إلا بعد أن ماتوا.

والحمد لله فإنى لم أنتظر الموت حتى أصل إلى قرائى !!

وقد سألت قارئتى التى أصبحت زوجة وأماً :

– هل تسمحين الآن بعد أن كبرت وتحملت مسئولية الأم..

هل تسمحين لأولادك وبناتك بأن يقرأوا لى.

وقالت وهى تقبلنى بفرحتها :

– طبعاً .. إنك لا تدري ماذا أعطيتنى .. لقد أعطيتنى صوراً

كاملة صريحة من الحياة حتى أختار بينها.. وبذلك أغنيتهنى عن

أن أعرض نفسى للتجارب.. علمتنى التجربة قبل أن أخوضها

وأعرض نفسى لتحمل فشلها.. ولذلك لم أفشل أبداً .. ولا أريد

لبناتى وأولادى الفشل.. ثم لا أريد أن يقرأوك بعيداً عنى كما

كنت أقرؤك بعيداً عن أمى وأبى.. ثم إنى سيدة مدبرة ولا أريد

لأولادى أن يشتروك من مصروفهم الخاص.. كلنا الآن نقرؤك

فى كتاب واحد أو فى جريدة واحدة.
وليس معنى ذلك أن كل أبنائى من قراء القصص والخواطر
الاجتماعية .. فقد كان فكرى السياسى أيضا يعتبر محرما..
وهو فكر كما أحب أن أصوره يرتفع عن الواقع فى سبيل
التطلع إلى المستقبل.. ولذلك فقد كان دائما فكرا مرفوضا من
الواقعيين أو من الذين يكتفون بمسئولية الواقع ويدافعون
عنه.. كان فكرا مرفوضا قبل الثورة ثم - رغم أنه ساهم فى
إطلاق الثورة - أصبح فكرا مرفوضا أيضا بعد الثورة.. وقد
تعرضت لكثير من الأحداث فى سبيل هذا الفكر.. تعرضت
للاغتيال أربع مرات. وسجنت ثلاث مرات.. وكان ما يعوضنى
دائما أن هذا الفكر أقنع الكثيرين من الشباب، وبعضهم تخلى
عنه بعد أن تعدى سن الشباب، والبعض الآخر هم الذين ظلوا
يشاركوننى الفكر السياسى مهما استمر بهم العمر، وهؤلاء هم
الأكثر نجاحا فى الحياة السياسية لأنهم لم يتعرضوا لتقلبات
الواقع، ولم يعتبروا أن كل أهداف الفكر السياسى هو الوصول
إلى مراكز ووظائف الدولة.

والتقى بالقراء السياسيين كما التقى بقراء الأدب.. وأشعر
نحوهم بنفس المسئولية.. مسئولية الأب الفكرى ، وإن كنت
بالنسبة لكثير منهم أشاركهم الأخوة الفكرية لا الأبوة.. وكنت
دائما أفرح بهم ويمواقفهم ثم يحدث أن يصل أحدهم إلى
منصب من المناصب السياسية.. رئيس جمهورية أو وزير أو..
أو.. فيحدث نوع من التباعد بيننا ، لا تعمدا ، ولكن لأن فكرى
السياسى دائما أبعد عن المسئولية التنفيذية التى تفرضها
المناصب ويفرضها الواقع.



ولا شك أن أحد الذين عاشوا صباهم مع فكرى وقلمى هو الأستاذ أحمد يحيى فقد كان هو صاحب فكرة نشر هذا الكتاب.

جاءنى يطلب نشر كلمات وخواطر فكرية سبق أن نشرتها فى روز اليوسف منذ أكثر من عشرين عاماً.
كيف تذكر هذه الكلمات ؟
أنا نفسى قد نسيتها.

ولكنها نعمة أن تحتفظ بقراءك منذ سن الصبا. فأحمد يحيى وهو الآن رجل ناجح صاحب دار نشر ناجحة.. وليس مجرد صاحب دار ولكنه أيضاً صاحب أفكار فى تحديد الكتاب الذى يختاره وينشره.. وهو الآن يقرأ لى وهو فى هذه السن الكبيرة ولكنه لم ينس ما كان يقرأه لى وهو فى السن الصغيرة.

وقد تعودت أن أتهم نفسى بعدم قدرتى على استغلال إنتاجى استغلالاً يحتفظ به أمام القراء جيلاً بعد جيل، ولذلك لم أفكر فى جمع هذه الكلمات والخواطر فى كتاب.. ربما لأن تفرغى لروز اليوسف كان يدفعنى إلى الإحساس بأن روز اليوسف هى كتاب دائم.. كل من يريدنى يبحث عنى فى روز اليوسف.. ولكنى هاجرت من روز اليوسف وأصبح من يريدنى لا يدرى أين أنا.. فى دار الهلال أم فى أخبار اليوم أم فى الأهرام أم .. أم.. قلم يحمل عبء أفكارى ولا يدرى أين يلقى بها.

إلى أن أنقذنى أحمد يحيى.. وقام بجمع ما كتبته وأنا أعيش العشرينات والثلاثينات من عمرى.
وكنت أدهش وأنا أراجع ما تجمع.. ودهشتى تنبض

بالفرحة كأنى أرى صورتى وأنا صغير.. ولكنى لم أكن صغيراً بالنسبة لنفسى.. فكل الأفكار التى سجلتها وأنا فى هذا العمر البعيد لم تتغير بعد أن وصلت إلى العمر الذى أنا فيه.. عمر الستين.. وليس معنى ذلك أنى لم أطور.. لا.. ولكن أفكارى ولدت معى وهى ترفض الاستسلام للواقع متطلعة إلى المستقبل.. ترفض القديم.. وترفض التقيد بالتقاليد.. وترفض الخوف الاجتماعى.. ولذلك.. فمهما طال الأمد عليها فهى لا تزال أفكاراً جديدة.

وهذه المجموعة من الكلمات التى يضمها هذا الكتاب معظمها كلمات حول المجتمع وحول التحليل العاطفى وقد دفعتنى هذه المجموعة إلى أن أراجع ما كنت أكتبه تعبيراً عن فكرى السياسى أيام شبابى.

غريبة !!

إن فكرى السياسى لم يتغير هو الآخر حتى اليوم.
ربما لأن كل ما اقتنعت به سياسياً فى شبابى وعشت مقتنعا به لم يتحقق حتى اليوم.
وبعد أن تتحقق الأحلام يبدأ الفكر فى البحث عن أحلام جديدة.

إنى فرح بهذا الكتاب.
لأنه نبضات أيام شبابى.

إحسان عبد القدوس

صناعة الإنسان

إننا نحاول أن نصنع الإنسان.
وأصعب مهمة تواجه المفكرين عندنا هي
صناعة الإنسان

□ وصناعة الإنسان، كأي صناعة أخرى، تبدأ
بتجميع المواد الخام، ثم تنظيفها وغسلها مما علق بها من
الأتربة والمواد الغريبة ثم صهرها، ثم تشكيلها في الأداة التي
نريدها والمواد الخام في الإنسان هي : الأفراد.
.. والأفراد في حاجة إلى عمليات «غسيل مخ» من رواسب
المعتقدات الخاطئة، والتقاليد المغلقة، والتفسيرات الدينية التي
لا تتفق مع الفهم الصحيح للدين، والمذاهب السياسية الداخلية
التي حاول الأجنبى أن يطمس بها عقولنا، ويقيم منها سجنا
لتفكيرنا لا نستطيع أن نفر منه.
وبعد ذلك تأتي مرحلة الصهر.. أو مرحلة ملء «فراغ
العقيدة».. أى أن نضع في عقول الأفراد، فهما جديدا للحياة..

وأن نبصرهم بالطريق الذى يسرون فيه.. وأن نضع لهم الدافع على العمل، والهدف الذى يعملون من أجله.. وهذه هى أصعب المراحل.

وهى مرحلة تقوم على دراسة مبادئنا، والنظريات التى وصلنا إليها، والفلسفة التى اعتنقناها.. ثم تعميق هذه النظريات، وتحليلها، والتبشير بها، وإيصالها إلى عقول الأفراد وإدخالها فى حياتهم اليومية وفى أسلوب تفكيرهم.

ويعنى آخر.. أن نجعل من هذه المبادئ والنظريات وعيا سياسيا عاما.

ولا يكفى لكى نصنع الأفراد أن نجعل منهم مهندسين وعمالا وأطباء.. إن المهندس الذى لا يتمتع بوعى سياسى يصبح مجرد كاتب حسابات.. لا يستطيع أن يدفع الحياة فى البناء الذى يشرف على تصميمه، ولا يستطيع أن يجعل من هذا البناء قطعة من مستقبلنا السياسى والاجتماعى.

والطبيب الذى لا يتمتع بوعى سياسى لا يستطيع أن يساهم فى العمل الكبير الذى نقوم به.. إنه قد يستطيع أن يعالج مريضا، ولكنه لا يستطيع أن يشترك فى معالجة شعب من المرضى.

وأول خطوة يجب أن تتخذ لنشر الوعى، هى تعريف الأفراد ببلادهم.. فإن النظريات والمبادئ التى اخترناها تظل معلقة فى الهواء، إلى أن توضع على أساس واقع بلادنا الواقع كما هو.. بلا مبالغة.. وبلا تفخيم.. والواقع الصادق، فدراسة المجتمع، ودراسة الواقع، هى أساس الإيمان بأية نظرية أو مبدأ سياسى.

وقد قال نهرو إنه اكتشف نفسه عندما اكتشف الهند.
وسيكشف الأفراد أنفسهم، عندما يكتشفون بلادهم..
وواقعهم.



من الذى يقوم بنشر الوعى الجديد ؟
إن العبء الأكبر فى نشر الوعى، يقع على الجامعات
والكليات النظرية فى الجامعات، قبل الكليات العملية.
ونحن منذ بدأنا حركة التصنيع، ونحن نتجاهل أهمية
الكليات النظرية.. كلية الآداب وكلية الحقوق.. بل ننسى أهمية
الدراسة النظرية كلها.

إننا فى اندفاعنا نحو التصنيع، لم ننس الزراعة.
وكذلك فى اندفاعنا نحو الدراسات العملية يجب ألا ننسى
الدراسات النظرية.

لن يكفينا التصنيع، إذا نسينا الزراعة.
ولن تكفينا الدراسة العملية، إذا نسينا الدراسة النظرية.
والدراسات النظرية هى التى تعد الذين يصنعون الإنسان..
تعد الذين يبشرون بالوعى الجديد.. والأفكار الجديدة..
والمجتمع الجديد.. وهؤلاء لا نستطيع أن نصنعهم إلا فى
الكليات النظرية.. فى كلية الآداب، وفى كلية الحقوق.. الخ..
وما أطالب به هو توجيه عناية خاصة إلى برامج الدراسات
فى الكليات النظرية، بحيث نستطيع أن نجد بين خريجها من
يقوم بمهمة نشر الوعى الجديد.

وفى كل مكان نحتاج فيه إلى واحد من خريجي الكليات
العملية سنحتاج فيه إلى واحد من خريجي الكليات النظرية..

واحد يصنع البناء، ويدير المصنع.. وواحد يصنع الإنسان،
ويدير التفكير.

وأكثر من ذلك.

إنى أطالب بأن تخصص فى كل مصنع حلقة دراسية..
يجتمع فيها العمال والمهندسون والموظفون الإداريون ساعة فى
اليوم وأن تحسب هذه الساعة ضمن ساعات العمل.. وأن يعين
فى كل مصنع واحد أو اثنان من الأساتذة المتخصصين فى
العلوم السياسية والاجتماعية، يتوليان إدارة الحلقة الدراسية
والإشراف على نشاطها، تماما كما يعين مهندسو المصنع
وعماله وإداريوه.

إننا بذلك نستطيع أن نقيم صناعة الإنسان.



بدأت الحملة من جديد على الشباب وبدأت
الاتهامات تنهال عليه.. الميوعة.. والانحلال.
ويبدو أن هذه الحملة تعتمد على مظهر
الشباب لا على حقيقته.. الشباب الذى يرتدى □
قميصا وبنطلونا، ويفتح صدر القميص ويدلى البنطلون إلى
أسفل خصره.. هو شاب مائع.. والشباب الذى يرقص هو شاب
بايظ والشباب الذى يحدث فتاة على شاطئ البحر هو شاب
منحل.. و.. وهذا حرام.

إن كل هذه مظاهر اجتماعية، وهى ليست مظاهر الشبان بل
هى مظاهر العصر.. مظاهر لا تدل على واقع الشباب ولا
حقيقته.. إنما هى الطلاء الخارجى للمجتمع الذى نعيش فيه.
والصورة التى نراها اليوم للزعيم مصطفى كامل.. هى
صورة شاب أنيق يميل طربوشه إلى جانب رأسه ويضع فى
رباط عنقه دبوسا من الماس، ويرفع شاربه بالكوزماتيك،

ويمسك فى يده عصا أنيقة ورغم ذلك فلم يكن مصطفى كامل
شابا منحلا ولا مائعا.

كان زعيما وطنيا استطاع أن يجمع كل الشعب وراءه.. إنما
كان مظهره هو مظهر عصره.. مظهر الشباب فى عصره.
وأيزنهاور يرتدى قميصا ملونا.. ألوانه فاقعة كأنها
الصواريخ.. ورغم ذلك فأيزنهاور ليس شابا مائعا.
إنه ليس شابا على الإطلاق.. إنه عجوز جاوز السبعين
ولكن هذا الرداء هو مظهر من مظاهر العصر.. مظهر لا يقلل
من قيمة أيزنهاور.. ولا يزيد منها.

وحتى ثلاثين عاما مضت.. كان الشاب الذى يرفع رأسه
إلى نافذة بنت الجيران، يعتبر شابا منحلا.. ولكن بنت الجيران
نزلت اليوم إلى الشارع، أصبحت زميلة للشاب فى الدراسة،
وفى العمل تجلس بجانبه ثلاثة أرباع اليوم.. فأصبح من
الطبيعى أن يرفع رأسه إلى نافذتها ويلوح لها بيده.. ويتسم
لها.. دون أن يكون شابا منحلا.. فهذا التألف بين الجنسين،
هو مظهر من مظاهر العصر.. هو المجتمع الجديد.

والرقص.. إن الرقص أيضا أصبح مظهرا اجتماعيا..
كثيرون لا يرقصون، ولكن كثيرين أيضا، يرقصون.. ولا يعيب
الشاب أن يرقص ولا يزيده الرقص فخرا.

والذين يرقصون ليسوا الشباب وحدهم.. إنهم الرجال
أيضا.. والعواجيز.. طبقة كاملة من أنجح رجالنا لا يجدون عيبا
فى أن يراقصوا نساءهم، ويترددوا بهن على الحفلات
الراقصة.. رجال أعمال ناجحون.. وكتاب ناجحون.. و.. و..
وإذا كان العواجيز يرقصون الستانجو، والشباب يرقصون

الروك آند رول.. فليس هذا دليلا على أن العواجيز أعقل من الشباب.. إنهم فقط أقل نشاطا، وأضعف أجساما.

وأنا لا أنفى أن هناك انحلالا.. وجرائم.. ولكن يجب أن نفرق بين الانحلال، وبين مظاهر العصر.. بين الجريمة وبين القميص المفتوح، والرقص والاختلاط على شواطئ الاسكندرية.. ويجب أن نعطي شبابنا حقه.

إن شباب اليوم خير من شباب الأمس.. هذه هي الحقيقة. وشباب اليوم يجند كله فى الجيش، ولكن ليس معنى هذا أن نطلب منه أن يعيش حياته كلها فى طابور عسكرى وأن نحرمة من مظاهر عصره.. يكفى أن نطمئن إلى أن هذه المظاهر تضم تحتها فتيانا أقوياء الروح والعقل.

وشباب اليوم يحمل من المسؤوليات أكثر مما حمله أى جيل مضى.. إنه يحمل مسؤوليات لم تكن تخطر على بال جيل مضى.. وقد استطاع أن يحملها.. وراجعوا نتائج الامتحانات وراقبوا الشباب فى المصانع.. وفى دوائر الأعمال.. ولا تكتفوا بمراقبته فى أوقات فراغه.. حتى تعرفوا لماذا أفخر بشباب بلدى.. ولعلكم لا تعلمون أن بطل الروك آند رول فى الجامعة.. هو من أوائل الناجحين فى كلية الهندسة هذا العام! وبعدا..

إن الذين لا يطيقون الشباب، هم الذين لا يطيقون أن يعيشوا فى هذا العصر.

حب النفس

إن حب النفس لا يعنى دائما (الأنانية) ولا يعنى (الفردية).. ولا يعنى (الانعزالية) إنك لن تستطيع أن تحب الناس إلا إذا أحببت نفسك أو لا.. لو كرهت نفسك أو لو سخطت على نفسك فستكره الناس كلهم وتسخط على الناس كلهم.

وحب الناس هو حب الحياة.. وقد خلق الله الحياة لنحبها ونسعد بها.. والذى يكره الحياة ويتمنى الموت ليس زاهدا ولا يسعى للتقرب إلى الله.. ولكنه يتمرد على الله.. ويكفر بنعمة الله. وحب الحياة هو أن تحب كل الناس الذين يكونون الحياة أختيارهم وأشرارهم.. وفقرائهم وأغنيائهم.. وأذكيائهم وأغبيائهم.. وهو حب نفسك لأنك جزء من الحياة. إن الحب قوة.

والنفس التى تحب هى النفس القوية. وصاحب النفس القوية لا يكره نفسه ولا يسخط عليها، بل

يعتز بها ويثق، ويغامر بها ويحمد الله عليها.



قلت هذا الكلام لنفسي وأنا أعانى أزمة نفسية أسميها «أزمة ديسمبر».

فى كل ديسمبر أصاب بهذه الأزمة.. أحس بشيء يكاد يخنقنى وأحس كأنى انهرت.. انتهيت.. أحس بالسخط على نفسى، وكراهية نفسى وعدم الثقة فى نفسى.. كأنى فقدت كل آمالى ولم يعد لى باب ألجأ إليه إلا باب الموت.. لماذا.. لماذا فى ديسمبر بالذات !

ريما لأن ديسمبر هو نهاية العام.. هو الشهر الذى أضع فيه ميزانية نفسى.. هل كسبت أم خسرت.. هل فشلت أم نجحت.. ماذا صنعت بهذا العام من عمري.. ماذا صنعت للناس ؟ ولنفسى.

واتلفت خلفى، فلا أرى إلا أخطائى.. وقد تكون أخطاء صغيرة ولكنها تبدو كبيرة.. كبيرة تنتصب أمامى كالأشباح المخيفة.

واتلفت خلفى، فلا أرى إلا أخطائى.. وقد تكون قصيرة كأنى لم أتحرك.. كأنى لازلت مكانى.. وأعود أنظر أمامى، فأرى الطريق لا يزال طويلاً.. طويلاً مزروعاً بالشوك، تعترضه الصخور.. وكثيرون قد سبقونى فيه.. بعضهم وصل إلى القمة وبعضهم قريب من القمة.. وأنا لا زلت مكانى وأصرخ : لماذا أعيش.. ما جدوى حياتى.. ما ذنبى لأولاد.. لماذا خلقت ؟

وأثور على نفسى.. هذه النفس الضعيفة.. النفس القلقة..

الحائرة.. العاجزة.. وأكرهها.. أكره نفسي.. وأفقد الثقة فيها.
وعندما أكرهها، تتزعزع ثقتي في الحب.. يخيل إلى أن
الحب هو سبب ضعفى.. وأنى أصفح عن الذين يؤذوننى لأننى
ضعيف، لا لأننى قوى يخيل إلى أن الحقد هو الذى يدفع إلى
التقدم لا الحب ولا الصنفح ولا التسامى.. وأن الشر هو سلاح
الحياة لا الخير ولا التعفف.

وتتشدد بى الأزمة وتمتد يد من صدرى وتقبض على حلقى
ويد أخرى تخنق عقلى.. فأقضى ساعات طويلة وأنا أشبه
بالمشلول.. لا أفكر ولا أعمل ولا أنطق ولا أنام.. فقط أتعذب.
وتنتهى الأزمة.. فأسقط ضعيفا كائن مريض ومن خلال
ضعفى أعود وأحاسب نفسى مرة ثانية كائن اتشبت بالحياة
وأتمسك لها الأسباب.

وفى المحاسبة الثانية تتكشف لى أشياء لم أرها فى
المحاسبة الأولى.. إن حياتى ليست كلها أخطاء.. وأخطائى
ليست كبيرة كما رأيته لأول مرة.. وقد تقدمت فى الطريق..
تقدمت كثيرا.. وفى خطوات واسعة.. والطريق أمامى قد يكون
مزروعا بالشكوك مليئا بالصخور ولكنه أسهل من الطريق
الذى قطعته.. وأنا أسير فيه بحذاء متين يحمى قدمى، حذاء من
تجاربى، ومن مبادئى ولا أحد قد وصل إلى القمة قبلى.. إن
الذين وصلوا إلى القمة لا يراهم أحد.. لأن القمم فوق السحب.
هؤلاء الذين أمامى لا يزالون يسيرون هم أيضا يسيرون
مثلى.. لا أحد يتوقف عن السير.

إن التوقف عن السير هو الموت.. أما الحياة فهى خطوات..
دائما خطوات.. ليس فى الحياة مكان للجلوس.. ليس لها قمة

تجلس عليها.. إن القمة وراء الحياة!
إن المحاسب المدقق هو الذى يراجع حسابه مرة واثنين
وثلاث مرات.. وفى كل مرة قد يكتشف خطأ فى الحساب..
وقد اكتشفت أنى ظلمت نفسى فى المحاسبة الاولى.
إنى لست ضعيفا.. ولست سيىء الحظ.. ولست فاشلا..
وقد صنعت بحياتى ما قدمته للناس ولنفسى وهذه الليالى
الطويلة التى قضيتها فى مكتب لم تضع عبثا فقد ساهمت فى
إسعاد الناس وإسعاد نفسى.. وعدت أحب نفسى.. وأثق بها..
وأحمد الله عليها.
وعندما أحببت نفسى، أحببت الحياة.. وأحببت مبادئى فى
الحياة.. وأحببت الحب..
إن الذين يؤمنون بالحب، يؤمنون بالحياة.. ويؤمنون
بأنفسهم.
إن الذين يدعون للحب يوفرون على الناس وعلى أنفسهم،
عذاب الحقد، وعذاب الكراهية، والذين يدعون للسلام يوفرون
على أنفسهم عذاب الحرب.

عن المشاة والسمول

منذ عشر سنوات كانت الفتاة المصرية التي تراقص رجلا فى محل عام حتى لو كان زوجها.. تعتبر زانية ويرجمها الناس بالسنتهم.

والآن أصبح من حق كل فتاة أن تراقص



الرجل وأن تتمايل معه على أنغام التانجو والرومبا والمambo. وانعكس هذا التطور على موسيقانا، فأصبح عبدالوهاب وفريد الأطرش وعبدالحليم حافظ وهدى سلطان وشادية يغنون للراقصين والراقصات لا الجالسين على المقاهى والجالسات على الشلت.

وأصبحت الألحان تدور حول السامبا والوجى بوجى والبايو بعد أن كانت تدور حول الرصد والصبا والحجاز كار. حدث هذه فى كل أنحاء العالم ودخلت موسيقى الزنوج الراقصة إلى إيطاليا وفرنسا والهند وبريطانيا وأصبحت شيئا لا يستغنى عنه كالحلل الإفرنجية والسيارات وفرش الأسنان.

كلها أشياء مستوردة من مدنيات أجنبية، ولا يفكر أحد فى محاربتها باسم الوطنية، كما لا يفكر أحد فى المطالبة بخلع الحلل الإفرنجية وارتداء الجبة والقفطان، أو بإبطال فرش الأسنان واستعمال السواك !!

ولكن هل معنى هذا أن هذه الألحان أصبحت تعتبر موسيقى مصرية صميمة؟! أبدا.

إنها ستظل دائما موسيقى أجنبية، وسيظل اسمها دائما سامبا أو رومبا، مهما وضعنا عليها اسم عبدالوهاب.. وكما يكتب الترزى على دكانه «ترزى إفرنجى».

سيكتب عبدالوهاب على بطاقته «موسيقار إفرنجى»! ومهما اقتبسنا من المدنيات الأجنبية فسيبقى فينا دائما شئ مصرى.. شئ يعبر عن الشخصية المصرية.. هذا الشئ لم تستطع موسيقانا أن تعبر عنه حتى اليوم.. وهذا الشئ هو الذى يحفظ الشخصية الموسيقية الإيطالية.. مثلا.. حتى اليوم رغم اكتساح التانجو والمambo لشوارع روما ونابلى.

وما يسمونه «موسيقى شرقية» لم تكن أبدا موسيقى مصرية والتواشيح والبشارف والتحاميل ومخلفاتها ليس فيها شئ من مصر.. ليس فيها شئ يعبر عن فلاح مصر أو العامل فى مصر أو نساء مصر.. إنها موسيقى أجنبية أيضا دخلت مصر فى عهد الأتراك وتأثرت بها الطبقة التى كانت تجارى الأتراك فى مدنيته ثم تأثرت بها الطبقات الأخرى بحكم تقليدها لطبقة الأسياد.

والوحيد الذى استطاع أن يخلق موسيقى مصرية صميمة

هو «سيد درويش».. كان يرسم بموسيقاه صورة الغزل فى حوارى القاهرة بلحن «على أد الليل ما يطول».. ورسم صورة لشيالين محطة مصر بلحن واضح معبر لا يمكن أن يكون إلا لحنا مصرياً.. ولحن الحشاشين، والعرجية.. و.. الخ.

كان سيد درويش الوحيد.. واستطاع عبدالوهاب أن يقترب منه كثيراً فى بعض أغانيه القديمة، ثم ابتعد عنه كثيراً بعد أن تخصص فى الألحان الراقصة.. كما اقترب منه كثيراً زكريا أحمد ومحمود الشريف وأحمد صدقى وإن كان كل من الثلاثة واقعا تحت ظروف نفسية عنيفة نتيجة اكتساح الألحان الأجنبية للشارع.

وبعد..

إنى واثق أن الموسيقى المصرية ستخلق قريباً وستطفو على السطح، فإن هذا المجهود العنيف الذى تبذله مصر لتكوين شخصيتها المميزة لابد أن ينجح أيضاً فى خلق شخصية موسيقية مميزة.

من يخلق هذه الشخصية؟

من هو الفنان الذى سيرسم بألحانه صورة مصر؟

لا أدرى..

وكما انتظرنا طويلاً حتى ظهر شخص لا تعرفونه ليقود ثورة يطرد بها الملك التركى ويخلق شخصية الحاكم المصرى الصميم فسننتظر إلى أن يظهر الفنان الذى يقود ثورة ليطرد بها الموسيقى الشرقية ويضع مكانها الموسيقى المصرية. ولابد أن هناك.. فى أحد أركان القاهرة أو إحدى قرى الريف، ولد العبقري المنتظر!

الدين لا يتحدون شيئا

هل تعرف أن الفرق بين الفيلسوف والعالم،

أو بين الفلسفة والعلم؟

إن العلم يسأل : كيف ؟

والفلسفة تسأل : لماذا ؟



هذا هو كل الفرق.

فإذا سألت نفسك كيف أتزوج ؟ فأنت عالم .. وإذا سألت

نفسك لماذا أتزوج فأنت فيلسوف !!

فإذا كنت عالماً فستعتمد على حواسك فى البحث عن زوجة..

عينيك وأذنيك وعيون وآذان الآخرين الذين سبقوك فى الزواج

وضعوا سلسلة من التجارب أما إذا كنت فيلسوفاً فإنك

ستتطلق بعقلك وحده إلى أن تضع نظرية ثم قد تتزوج

أو لا تتزوج .

وقد بدأ الإنسان عالماً يسأل نفسه كيف يحمى نفسه من

الوحوش وكيف يتقى تقلبات الطبيعة وكيف يحصل على قوته

وكيف يدبر ملبسه وكيف يتغلب على عدوه وكيف هذه هي
التي أدت إلى اختراع الآلات وإلى اكتشاف القنبلة الذرية .

ثم بدأ الإنسان بعد أن توفرت له سبل الراحة وبعض أوقات
الفراغ يسأل نفسه لماذا أجوع ولماذا المطر ولماذا البراكين ولماذا
المرض ولماذا تهاجمنى الوحوش ... إلخ ..

وفى الوقت الذى توصل فيه العلماء إلى وسيلة لقتل
الوحوش لأنهم عرفوا كيف يقتلونهم توصل الفلاسفة إلى
نظرية استئناس الوحوش لأنهم عرفوا لماذا تتوحش
الوحوش !!

وفى الوقت الذى كان العلماء فيه يؤكدون أن الأرض
منبسطة لأن حواسهم التى يعتمدون عليها فى إيجاد جواب
كيف لم توصلهم إلى أكثر من ذلك فى هذا الوقت قام فيلسوف
يؤكد أن الأرض كروية لأن عقله المنطق وتسلسل لفظ لماذا فى
ذهنه أدى به إلى اكتشاف حقيقة لا تدركها الحواس .

وعندما عجز العلماء عن إثبات نظرية كروية الأرض
بحواسهم - فى ذلك الوقت - قتلوا الفيلسوف الذى نادى
بها !!

وكان العلماء عندما يعجزون عن اكتشاف المجهول يعبدونه
وبذلك نشأت عادة التزلف وإقامة الشعائر للمجهول .. عبدوا
المطر عندما عجزوا عن السيطرة عليه .. وعبدوا الشمس
والبراكين والوحوش .. وعبدوا البقر لأنهم عجزوا عن اختراع
بقرة .. ثم عبدوا الملوك والأباطرة والأسياء لأنهم عجزوا عن
السيطرة عليهم واختراع آلة تريحهم منهم !!

أما الفلاسفة فلم يعبدوا شيئاً لأنهم لا يسعون إلى السيطرة على الجهول ولكنهم فقط يحاولون مناقشته .

ونحن جميعاً إما علماء أو فلاسفة.. فالرجل العادى الذى يسأل نفسه كيف يصلح حنفية الماء هو عالم .. والرجل العادى الذى سيقول خليها على الله هو فيلسوف يؤمن بنظرية فلسفية معروفة تسمى الفلسفة الجبرية وهى نظرية ملخصها أن الكون كله بما عليه ومن عليه مسير ولا مخير.. وأن الإنسان يموت فى موعد محدد ولن يموت قبل هذا الموعد حتى لو ألقى بنفسه تحت عجلات قطار أو قفز من برج الزمالك .. وكل ناحية من نواحي الحياة تحتاج إلى تعاون الفلاسفة والعلماء .. تحتاج إلى لماذا وكيف حتى الثورات.. فلاسفة الثورة يسألون : لماذا الثورة ويصلون إلى جواب نظرى.. وعلماء الثورة يسألون : كيف تقوم الثورة ويقومون بها فعلاً.

فجمال الدين الأفغانى وجان جاك روسو وماركس من فلاسفة الثورة وسعد زغلول وعبد الناصر من العلماء.

ثم هناك فرق بين المحيط الذى يمكن أن يعيش فيه الفلاسفة والمحيط الذى يمكن أن يعيش فيه العلماء.

. الفلاسفة لا يعيشون ولا يظهرون إلا فى محيط الحرية المطلقة.. لأن العقل لا يمكن أن تحده حدود ولا يمكن أن ترسم له اتجاهات التفكير كما أن المناقسة الفلسفية لا يمكن أن تنتهى عند حد معين تقف عنده.. ولكن العلم الذى يعتمد على مشاهدات وتجارب الحواس، ويقبل أن يرسم له خط السير والعلماء يمكنهم دائماً أن يغمضوا عيونهم عندما يؤمرون

ويفتحوها عندما يطلب منهم فتحها فلم يظهر مثلاً فلاسفة فى عهد هتلر إنما ظهر فيه علماء يبنون المصانع ويخترعون ويقيمون العمارات ويضعون الأسس الاقتصادية.. إلخ! وفى أمريكا اليوم يحارب ماكارثى الفلاسفة بما فيهم شارلى شابلن بينما تفتح الحكومة خزائنها للعلماء.. والعالم الذى يفكر فى أن ينقلب إلى فيلسوف يقضى عليه كما حدث للعالم الذرى الكبير أوبنهايمر عندما بدأ يسأل نفسه لماذا يصنع القنبلة الذرية.. وبعد.

فعدري فيما كتبته أنى كنت أقرأ هذا الأسبوع كتابا فلسفيا عن البراجماتيزم.. ولن أقول لكم ما هو هذا البراجماتيزم ولكن فقط أعيدوا قراءة السطور فقد تصلوا إلى ما أعنيه.

من بين الكتاب العرب ؟

اتفقت مع الأستاذ توفيق الحكيم أن نقيم ندوة، لنناقش موضوع : من هو الكاتب الحر. وكان هذا الموضوع قد أثاره توفيق الحكيم نفسه فى كتابه تأملات فى السياسة.. الذى

سيصدر بعد أيام فكتب يرسم صورة الكاتب الحر :
«الكاتب الحر الحق هو الذى يبقى بعيدا عن الحركات الحزبية والسياسية كى يستطيع فى كل وقت أن يدافع بمنطلق الحرية عن المثل العليا للإنسانية ولا يؤازر المذاهب والأشخاص إلا على قدر احتفاظها بروح هذه المثل».

ثم يقول :

«الكاتب الحر فى نظرى هو الحكم النزيه فى حلبة اللاعبين، هو الذى يحصى الأخطاء بغير تمييز ولا تحامل وهو الذى يفضح ستر الخارجين على أصول اللعب القديم».
وأخذت أنا أفكر فى شروط ومواصفات الكاتب الحر!

وبدأت بأن ساءلت نفسى : هل استطعت أن أكون كاتباً حراً؟ فتبينت أن هذا التساؤل كان مدار حيرة نفسية كبيرة أضعت خلالها أجمل سنوات شبابى!!

كنت قد بدأت أعد نفسى للكتابة السياسية عقب تخرجى فى كلية الحقوق وكانت السياسة فى نظرى مجموعة من الزعماء ومجموعة من الأشخاص.. وكان هؤلاء يحجبون عنى كل المثل العليا وكل المبادئ السياسية التى وعيتها.

كنت أؤمن بالمثل العليا وبالمبادئ المطلقة كالحرية، والحق، والشعب، ولكن كنت لا أراها، ولا أرى طريقاً مرسوماً فى عقلى.. لم أكن أرى إلا هؤلاء الأشخاص وكان أقربهم إلى قلبى المرحومين : أحمد ماهر والنقراشى.. كنت مؤمناً بأحمد ماهر والنقراشى، مؤمناً بوطنيتيهما ونزاهتهما وإن لم أكن متحمساً فى إيمانى إلى حد التعصب الحزبى.. ثم حدث فى عهد وزارة النقراشى باشا أن كتبت مقالا أهاجم فيه اللورد كيلرن وأطالب بطرده من مصر.. وبعد ساعات من ظهور المقال قبض على النقراشى وأودعنى السجن وصادر المجلة.

وجلست يومها فى الزنزانة رقم ٦ بسجن الأجانب أفكر لأول مرة تفكيراً جديداً على وكأنى صحوت بعد سبات عميق استغرق كل عمرى.

ساءلت نفسى : هل سجننى النقراشى لأنى هاجمت اللورد كيلرن ممثل الاحتلال وبطل حادث ٤ فبراير؟

وهل معنى ذلك أنه أقل وطنية مما كنت أعتقد ؟ لماذا ؟!
ربما كانت هناك أسباب وطنية تدعو إلى عدم مهاجمة اللورد!

ولكن.. لماذا أؤمن بالنقراشى أصلا.. ما هى الموازين التى أستطيع أن أحكم بها عليه؟ ما هى الحدود التى أستطيع أن أختلف معه عليها أو اتفق معه عندها.

عشرات الأسئلة.. كلها تعبر عن حيرة ذهنية عنيفة.. وتبينت خلالها أنى لم أكن أحب النقراشى وأؤمن به إلا لأنه كان صديقا لمجلة روزاليوسف لأنه وقف بجانب والدتى السيدة فاطمة اليوسف عندما أعلنت معارضتها للوفد.. وتبينت خلالها أن ثقفتى فى وطنية النقراشى ونزاهته لا تكفى للإيمان به.. فالوطنية والنزاهة أمران مفروضان كمبادئ مطلقة، كوجود الله.. وكما أن الإسلام والمسيحية واليهودية لا تختلف فى الاعتراف بوجود الله إنما تختلف فى تعاليم هذا الوجود وفى الطريق إلى الله، كذلك الوطنية فقد يتساوى فيها الجميع من الزعماء والأحزاب، ولكنهم يختلفون فى المبادئ والتعاليم التى تملئها عليهم ووطنيتهم، ويختلفون فى الطريق الذى تدفعهم إليه هذه الوطنية.

فلا يكفى أن أؤمن بالزعيم لمجرد أنه وطنى، أو نزيه، أو حر.. بل يجب أولا أن أؤمن بمبادئ هذا الزعيم وأن أرى بوضوح الطريق الذى يسير فيه.

ولكن كيف أؤمن بمبادئ زعيم قبل أن يكون لى شخصيا إيمانى الخاص.. إيمان واضح محدد؟؟

كيف أحكم على إنسان بأنه صادق الإسلام - مثلا - إلا إذا كنت أنا مسلما صادقا حتى أستطيع أن أعرف مدى إسلامه ومدى صدقه.. أو مدى بعده عن الإسلام ومدى كذبه؟!

وخرجت من السجن لا حاقدا ولا موتورا ولكن حائرا أبحث
عن إيماني السياسى كهذه البربرية التى خرجت إلى الغابة
تبحث عن الله.. فى قصة برناردشو..

وتخبطت كثيرا فى حيرتى.. وتعبت كثيرا.. قرأت كل ما
استطعت أن أقرأه من أول ماكيافيللى إلى كارل ماركس..
وجلست إلى كل من استطعت الجلوس إليهم من الزعماء
ورجال السياسة.. واتصلت بأكثر الجمعيات الوطنية وكان
بعضها فى أقصى اليمين وبعضها فى أقصى اليسار.

ومرت سنوات .. أكثر من أربع سنوات وأنا أعانى هذه
الحيرة والشك يعصر رأسى ولكن - دون أن أتعمد - كنت
أشعر بأن خيوط المبدأ الذى أؤمن به تنثر فى خيطا بعد خيط
إلى أن انبثق النور فى صدرى ووجدت إيمانى.

وعندما آمنت بمبدأ استغثت عن الإيمان بالأشخاص.
أصبح كفاحى فى سبيل مبدئى هو كفاحى فى سبيل كل
زعيم وكل شخص يؤمن بنفس المبدأ، حتى لو لم أكن أعرف
هذا الزعيم أو هذا الشخص.

وأصبح الطريق أمامى واضحا مستقيما مستقرا، أسير فيه
مع كل السائرين فيه وابتعد به عن كل الخارجين عليه.

كنت أبدو أحيانا أنى من أنصار هذا الزعيم أو ذاك لأن هذا
الزعيم أو ذاك يسير فى نفس الطريق ثم أبدو وكأنى خصم
لنفس الزعيم لأنه خرج عن الطريق.. وفى كلا الحالين لم أكن
أتعمد أن أناصر أحدا أو أخاصم أحدا بل كنت فقط متمسكا
بإيمانى مستقرا عليه..

ولكن هل معنى هذا أنى أصبحت كاتباً حراً؟
وهل معنى هذا أن الكاتب الحر هو الذى يؤمن بمبدأ معين
ولا يؤمن بأشخاص معينين؟!

لا أدرى.. وربما أكون قد بدأت الموضوع من آخره وكان
يجب أن أبدأ بالتساؤل : من الذى يحكم بأن الكاتب حر أو غير
حر؟

هل هو رأى العام ؟

وهل معنى هذا أن الكاتب الذى يرضى عنه رأى العام
يصبح كاتباً حراً حتى لو ضحى فى سبيل ذلك بمبادئه
وإيمانه؟ وأن الكاتب الذى يثير سخط رأى العام يصبح كاتباً
غير حر حتى لو كان متمسكاً بإيمانه ومبادئه؟
صدق توفيق الحكيم.. إننا فى حاجة إلى ندوة.

الفصل الثاني

لى صديق من رجال الأعمال يسيطر عليه اعتقاد غريب فهو يعتقد أنه إذا نجح فى حياته الخاصة، فشل فى حياته العامة.. وبالعكس، إذا فشل فى حياته الخاصة، نجح فى حياته العامة. □

وكل تجاربه فى الحياة تؤكد له هذا الاعتقاد : كان يعيش مع أمه.. وكانت أمه هى كل حياته، وكل سعادته، وكل راحته. وفجأة ماتت أمه.. ماتت فى حادثة.. وأحس أن حياته ضاقت حتى كادت تخنقه.. وفى نفس الشهر الذى ماتت فيه أمه، ربح أول صفقة كبيرة فى حياته.. صفقة تقدر قيمتها بعشرين ألف جنيه.

ثم أحب فتاة.. وخطبها.. ثم اكتشف بعد أن خطبها أنها لا تحبه.. وفقدوها، وفقد معها قلبه، وشخصه وثقته بنفسه.. وفى خلال شهور قليلة بعد هذه الصدمة، كان قد أسس شركة صناعية.. ونجحت الشركة.. وأصبح من كبار رجال الأعمال.

وهو يحب الآن فتاة أخرى .. يحبها ملء قلبه..
وأحبته.. ذابت فى حبه.. ولأول مرة منذ وفاة أمه يشعر
بالسعادة فى حبه.. وقد بدأ فى نفس الوقت مشروعا اقتصاديا
ضخما.. وهو خائف.. خائف أن ينجح فى حبه.. ويفشل فى
مشروعه.. وخائف أن ينجح فى مشروعه ويفشل فى حبه.

قلت له :

— أيهما تتمنى أكثر.. النجاح فى الحب، أم النجاح فى
المشروع ..

قال :

— لا أدري .. إنى أحيانا أرجو الله أن يحفظ لى حبنى حتى
لو فشل مشروعى.. وأحيانا أحس بإحساس خبيث أخجل
منه.. أحس كأنى أتمنى أن ينجح المشروع ولو خسرت فى
سبيله حبنى وفتاتى.

ثم استطرد قائلا فى حدة كأنه يثور على الله :

— ولكن لماذا لا أنجح فى الاثنين.. لماذا يصبر الله على أن
يعطى الإنسان بيد ويأخذ منه باليد الأخرى يعطيه من السعادة
بقدر ما يعطيه من الشقاء.. ويخصص له من النجاح بقدر ما
يخصص له من الفشل.. إذا أعطاه مالا أخذ منه صحته وإذا
أعطاه سعادة زوجية أخذ منه سعادته فى عمله.

وقلت له :

— إنه ليس الله ولكنها عملية توازن وتعويض تقوم بها أنت
داخل نفسك.. ففشلك فى حياتك الخاصة يدفعك تلقائيا إلى
محاولة النجاح فى عملك لتعوض النقص الذى أصبت به،
وكذلك فشلك فى عملك يدفعك تلقائيا إلى محاولة النجاح فى

حياتك الخاصة فتبذل مع زوجتك أو مع حبيبتك مجهوداً،
لم تكن لتبذله لو كنت ناجحاً في عملك متفرغاً له بكل أعصابك
وعواطفك.

قال :

- معنى هذا أن ليس هناك أمل في أن أنجح في الاثنين أي
في حياتي الخاصة وفي عملي ؟

قلت :

- هناك أمل كبير إذا استطعت أن توازن بينهما.
أن تعطي لحياتك الخاصة من اهتمامك وتفكيرك ووقتك
بقدر ما تعطي لغفلك..
وتذكر أن الحب يحتاج إلى ذكاء بقدر ما يحتاج إليه إنشاء
مصنع.

قال :

- سأحاول.

وقام وهو لا يزال يعتقد أنه لن يكتب له النجاح في حبه إلا
إذا كتب عليه القشل في عمله وبالعكس.

السوهم الحبيب

سيدة كريمة مثقفة زارتني في مكتبي
لتحدثني عن الحب.
قالت :

□ - إن الحب وهم كبير ننساق إليه.. وتستطيع
دائما أن تتغلب عليه بإرادتك!
قلت لها :

- إن معاني الحياة كلها أوهام وكلها تستطيعين أن تتغلبى
عليها بإرادتك.. إن الوطنية وهم وتستطيعين بإرادتك أن
تخونى وطنك والفضيلة وهم وتستطيعين بإرادتك أن تنساقى
وراء الخطيئة إنك بإرادتك تستطيعين أن تطفئى النور وتعيشى
فى الظلام.
قالت :

- ماذا تقصد ؟
قلت :

إن رقى الإنسانية وتقدمها لم يتحقق إلا نتيجة محاولة الإنسان اللحاق بأوهامه.. وجميع أخطاء الإنسانية لم تقع إلا نتيجة هروب الإنسان من أوهامه ومحاولة التغلب عليها بإرادته.. إن الظالم ليس إلا رجلاً تغلب بإرادته على العدل والقاتل ليس إلا رجلاً تغلب بإرادته على الحياة. ونابليون ليس إلا رجلاً تغلب بإرادته على مبادئ الثورة الفرنسية.

ونورى السعيد ليس إلا رجلاً تغلب بإرادته على أوهام العرب فى بناء مستقبلهم.

إن الإرادة تستطيع أن تهدم كل من نعيش من أجله.
قالت :

- إنك تعتبر الحب فضيلة!!
قلت :

- إنه أبو الفضائل..
قالت :

- إنى لا أحدثك عن الإنسانية، إنى أحدثك عن الإنسان عن الفرد.. عن الحب بين الرجل والمرأة.
قلت :

- هذا الحب أيضاً فضيلة.. إنه أرقى مشاعر الفرد.. إنه ينبوع السعادة الحقة وينبوع الفن وأساس الرقى بالشخصية الفردية.

قالت فى حدة !

- ليس بين الرجل والمرأة فضيلة إلا الزواج.

قلت :

- إن الزواج ما هو إلا إطار وضعه المجتمع للعلاقة بين الرجل والمرأة.. وقد يضم هذا الإطار لوحة تمثل الفضيلة وقد يضم لوحة تمثل الخديعة.. قد يكون إطارا للحب وقد يكون إطارا للنفاق.

قالت :

- أى أنك تقر الحب بلا زواج.

قلت!

- إن كل فنان يهيمه أن يصنع إطارا للوحته ولكنه إن لم يستطع أن يجد إطارا فلن يقلل ذلك من قيمة لوحته.. فالإطار من صنع النجار واللوحة من صنع الفن.. الزواج من صنع الناس والحب من صنع القدر.. الزواج عقد تملك وامتلاك والحب ليس فيه عقود وليس فيه تملك إنه مجرد تجاوب روحى يرفعك فوق الماديات.

قالت :

- إنك خيالى والمجتمع لا يستطيع أن يعيش فى خيال.

قلت :

- إن المجتمع فى حاجة دائما إلى الخيال ليندفع إلى الأمام حتى المخترعات المادية التى أصبحت اليوم حقائق.. بدأت فى رؤوس أصحابها مجرد خيال - الراديو.. والفريجدير.. والغسالة الكهربائية.. والسينما والتليفزيون الملون والقنبلة الذرية كل هذه الحقائق بدأت فى رؤوس بعض الناس كخيال لا يصدق.. المجتمع ولا يعيش فيه وسيأتى اليوم الذى يصبح

الحب حقيقة يعيش فيها المجتمع لا مجرد خيال يحلم به بعض
الفلاسفة سيأتى هذا اليوم، وهو اليوم الذى يرتقى فيه
الإنسان فيصبح ملاكا.

قالت :

- لقد خيبت أملى.. كنت أظنك رجلا واقعيا أستطيع أن أجد
عندك حلا لمشكلتى!

قلت :

- لقد خيبت أمل الكثيرين.. كلهم يريدون منى أن أكون
واقعيا ولكنى أرفض لأنى لا أجد السعادة فى الواقع.. أجدها
فى خيالى.

وخرجت غاضبة !

الرقص والشخصية

ما هو الفن ؟

إنه تعبير عن معنى.

وكل ما يثيرك ويؤثر فيك من الفن هو معناه..

□ ولا يوجد فن بلا معنى.. لا توجد موسيقى بلا

معنى، ولا رسم بلا معنى، ولا أدب بلا معنى، ولا رقص بلا

معنى.. وقد يكون معنى وضعيا، أو معنى تعبيريا.. أو معنى

واقعي أو معنى رمزيا.. ولكن هناك دائما معنى لكل فن.

وقد شاهدت في الأسبوع الماضي عرضا راقصا

اسبانيوليا.. كان مجموعة قصص يرويها الراقصون

والراقصات وترويها معهم الأنغام.. قصص مفهومة لها بداية

ونهاية ولها حداثتها وأبطالها.. وقد يختلف معناها في ذهن

كل متفرج ولكن كل متفرج يخرج منها بمعنى.

وكل رقصات العالم لها معنى. الرقص الهندي له معنى

والرقص الاسكتلندي له معنى والرقص الهنغاري له معنى

ورقص الغجر له معنى.. حتى رقص الكلايكيت الذى لا يتجاوز نقرات مرتبة القدمين والذى لا أحبه ولا أهضمه يجب أن يكون له معنى يقصده الراقص أو الراقصة.

ما هو المعنى الذى يوحى به الرقص الشرقى.. رقصنا ؟

ما هى القصة التى ترويها الراقصة لجمهورها ؟

لا شيء إطلاقاً.. حتى سمي هذا الرقص «هز البطن» لأنه ليس له معنى إلا أن هناك امرأة تهز بطنها وقد يكون لمجرد هز البطن معنى قد تهز الراقصة بطنها غضباً أو مرحاً.. وقد تهزه لتعبر عن عذاب تقاسيه أو أمل ترجوه.. أو.. ولكن المصيبة أن الراقصة نفسها لا تقصد أى معنى بهز بطنها.. حتى معنى الإثارة لا تقصده بفنها إنما تقصده بمجرد الكشف عن جسدها.

ولم يكن الرقص الشرقى دائماً هكذا بلا معنى.. فقد تطور هذا الرقص إلى أن أصبح بهذه الأوضاع التى نشاهدها الآن فى عصر الحريم عصر العباسيين وسلاطين آل عثمان وكان تطوره تلقائياً أى لم يتعمده فنان إنما أملت الظروف التى كانت تعيش فيها نساء السلاطين.. كن محرومات من الحرية، ومحرومات من الحب، ومحرومات من حق الشكوى فبدأن يعبرن عن حرمانهن خلال الفرصة الوحيدة التى تتاح لهن للمثول بين يدي السلطان.. فرصة الرقص فكانت الغاضبة تعبر عن نفسها برقصها وكانت العاشقة تعبر برقصها عن عشقها والتى تشكو تسمع شكواها فى حركات جسدها وليس معنى ذلك أن السلطان كان يفهم ما يعبرن عنه من معان ولكن الراقصات كن يتعمدن هذا المعنى كل هذا ضاع عندما استقر

الفن فوق بطون هؤلاء الراقصات الجاهلات الرخيصات.
حتى بدلة الرقص لها معنى ليست مجرد ثوب يكشف عن
الجسد إنما هو تطور لزي المرأة الفرعونية الراقية حتى عصر
كليوباترا.. هذا الثوب نفسه كانت ترتديه كليوباترا فهل تعلم
ذلك سامية جمال أو سنية بسكيت؟

ثم الموسيقى التى تصاحب هذا الرقص هل لها معنى أكثر
من الواحدة والنص ولو كان لها معنى هل تستطيع الراقصات
المبجلات فهمه ؟ لقد وضع عبدالوهاب قطعة موسيقية معبرة
أسمها بنت البلد فيها معانى بنات البلد وفيها دلالتن وفيها
قصة يوم من أيامهن.. وقد رقصت بعض الراقصات بمصاحبة
هذه القطعة الموسيقية فهل فهمت معناها وهل عبرن برقصهن
عن بنت البلد وقصتها ؟؟ أبدا!!!

وبعد..

فقد يذكر القراء أنى سبق أن كتبت - منذ سنوات - حول
هذا الموضوع وطالبت بإنشاء مدرسة أو معهد للرقص الشرقى
وطالبت بإنشاء باليه مصرى وقد لا يعلم أحد أنى منذ شهور
قليلة قضيت ساعة أتحدث فيها عن الرقص إلى أحد كبار
المسؤولين.

إننى أعتبر الرقص أحد مظاهر الشخصية المصرية كما أنه
مظهر من مظاهر الشخصية الوطنية فى كل أمة وفى كل بيت..
فإذا أن يكون له معنى وإلا.. حرموه.

حياتي

فى أحد الأيام عدت إلى بيتى فى الساعة
الثانية صباحا وما كدت أهم بخلع ملابسى حتى
سمعت جرس الباب يرن.. وتوقفت برهة أتساءل
من يكون الطارق فى هذه الساعة.. وطاقفت بذهنى □
كل الخواطر والاحتمالات وكلها خواطر واحتمالات تقبض
الصدر ثم توكلت على الله وذهبت إلى الباب وفتحت الشرعة
الزجاجية.. فرأيت خلف الباب شابا أسمر تنبعث من عينيه
الواسعتين أضواء حادة نائرة ترتعش شفتاه عندما يتكلم كأنه
يضبط أعصابه قبل أن يقدم على أمر خطير.
ونظرت إليه متسائلا وأنا أحاول أن أتذكر وجهه.
ثم سمعته يقول :
أريد أن أقابلك
قلت !
- إن الوقت متأخر.

قال :

- ولو.. افتح لى !

قلت :

- لا أستطيع.. إنى لم أعود أن أستقبل إنسانا لا أعرفه، فى هذه الساعة.

ووضع يده فى جيب بنطلونه وهو يقول :

- أريد.. أن..

وما كدت ألمحه يضع يده فى جيب بنطلونه حتى أغلقت «شراعة الباب» فى وجهه، وألقيت بنفسى على الأرض بعيدا عن الباب.. وأرهفت أذنى لأتلقى صوت طلقات الرصاص. ولم ينطلق الرصاص.

وبقيت فترة منكفئاً على الأرض، دون أن أسمع صوت أقدامه وهى تباعد عن الباب، ودون أن يطرق الباب أو يدق الجرس مرة أخرى.

وزحفت على بطنى حتى وصلت إلى الباب وأحكمت إغلاقه ثم قفزت بعيدا إلى حيث آلة التليفون واتصلت بقسم بوليس قصر النيل، ورويت للضابط النوبتجى الحادثة.

وبعد دقائق كان الضابط فى بيتى.

وأعدت عليه ما حدث، ثم تركنى بعد أن وضع جنديا لحراسة البيت.. وحاولت أن أنام بعد ذلك فلم أستطع فقد كانت ذكريات حوادث الاعتداء على تتوالى فى ذهنى وكانت صور خطابات التهديد التى لا يزال يصلنى بعض منها تقفز أمام عيني.

وضيعت على نفسى.. نفسى التى أضعها على طرف قلمى
وأعرضها لكل هذه الأخطار..

لم أنم حتى الصباح.
ومكثت فى فراشى أنقلب إلى أن جاء الخادم يدعونى لمقابلة
ضيف لا يريد ذكر اسمه.. وخرجت إليه من غرفتى وأنا
مطمئن إلى ضوء النهار.

وكان نفس الشاب الأسمر.
نفس العينين الواسعتين.. ونفس الشفتين المرتعشتين.
وقلت له دون أن أحياه :
- ماذا تريد ؟

قال :
- أنا خطيب الخياطة التى كانت عندكم أمس، وأريد أن
أتأكد فى أى ساعة خرجت من عندكم!
قلت وأنا أكاد أمد يدي إلى عنقه :
- من أجل هذا تزعجنى فى الساعة الثانية صباحا.
قال :

- إنها مسألة تتوقف عليها حياتى!
وهدأت قليلا وبدأت أشفق عليه وقلت !
- كنت أخشى أن تكون مسألة تتوقف عليها حياتى أنا!
وتركته ليجيبه من فى البيت على سؤاله.
وعدت إلى حيرتى! إن كل إنسان أسىء الظن به أندم على
إساءة ظنى به. وكل إنسان أثق به أندم على ثقتى به فأين
المفر؟!

الأسبب الأول

التقيت بزوجين انجليزيين يقضيان شهر
العسل فى القاهرة وسألت العروس : لماذا
اختارت القاهرة لقضاء شهر العسل؟

أجابت فى صراحة خلقتها سداجة !

- لأنها مسقط رأس حبنى الأول.. لقد التقيت فيها بأول
رجل أحببته !

قلت : هل يعلم زوجك ؟

قالت : نعم.. وقد اتفقنا أن نقضى شهر العسل فى القاهرة
ليتعرف بنفسه على الرجل الذى كنت أحبه !

قلت : لماذا اعترفت له بحبك الأول.. إن الماضى ميت،
واستحضار أرواح الأموات يزعج الأحياء !

قالت : إن زوجى يعزف كل أموات عائلتى.. ولست أوافقك
على أن الماضى ميت إنه حى دائماً.. حى فى نفسى.. إنه قطعة
من تكوين شخصيتى ويجب أن يعرف زوجى شخصيتى على
حقيقتها !

قلت : لقد أحبك دون أن يعرف ماضيك!

قالت : أحبنى وأنا فى الثالثة والعشرين من عمرى، وهو ليس مغفلاً ليعتقد أنى وصلت إلى هذا العمر دون أن يخفق قلبى بالحب ولو مرة واحدة!

قلت : كان يكفى أن تدعيه يستنتج أن فى حياتك رجلاً سبقه إليك.. ولكن لا تضعى الحقيقة كاملة أمام عينيه.. فإنه قد يكذب استنتاجه.. ولكنه لا يستطيع أن يكذب اعترافك!

قالت : بالعكس.. لو تركته للاستنتاج فسيتهم أن كل رجل ييأس لى أو يرفع لى قبعته كان حبيبى.. وستعذبه أوهامه!

قلت : إن صورة حبيبك الأول ستترك فى نفسه عقدة تعذبه.. سيتصور دائماً إنك كنت تحبينه أكثر منه سيذكر كلما قبلك إن شفقتك التقتا بشفتى آخر قبل أن تلتقى بشفتيه.. سيذكر كلما ضمك أن جسدك ضمه آخر قبل أن يضمك.

وباختصار سيشعر دائماً أنه تزوج معطفاً قديماً «سكند هاند» وأنه ليس أول من يتدفأ به.

قالت : لهذا جئت به إلى القاهرة ليلتقى بالرجل الذى كنت أحبه ويتعرف إليه فتتمحى العقد من نفسه ويتأكد عندما تجلس ثلاثتنا سوياً أننى قد أصبحت له وحده وأنى أحبه هو وحده!

قلت : إنى غير مقتنع!

قالت : لا تنس أنه أيضاً اعترف لى بماضيه وعرفت الفتاة التى كان يحبها!

قلت : ولو أن المرأة قد تحتمل اعتراف الرجل بماضيه ولكن الرجل لا يحتمل اعتراف المرأة بماضيها.

قالت : لماذا ؟

قلت : لأن الرجل طفل كبير وإنما المرأة امرأة.

إن الرجل له غرور الطفل وأنايته وسذاجته إنه يحب أن يعتقد في نفسه أنه يأتي دائما بما لا يستطيع غيره.. وأنه تزوج المرأة التي لم يمسخها مخلوق قبله ولم تجد قبله رجلا تحبه أما المرأة فهي أكثر واقعية.. إنها أكثر نضجا من الرجل إنها تفهم حقائق الحياة وتعترف بها وتنزل على حكمها وهي تعرف دائما أنها ليست أول امرأة في حياة زوجها، وكل ما تحرص عليه أن تكون آخر امرأة.

قالت :

- لقد كبر الرجال عندنا ولم يعودوا أطفالا.. إنهم يفهمون الحياة ويعترفون بالواقع.. عقبال عندكم!!
وكان قد انضم إلينا الرجل الذي أحبه قبل أن تتزوج إنه مصرى تزوج أخيرا. وقد جاء معه زوجته وجلس الجميع سعداء وقام كل رجل يراقص زوجة الآخر!

وهمست في أذن الشاب المصرى !

- هل اعترفت لزوجتك بحبك القديم .

قال هامسا : أتريد أن تخرب بيتي.. اعمل معروف لا تفتح

السيرة!

وهذا هو الفرق الكبير بيننا في مصر وبينهم في انجلترا أو فرنسا أو ألمانيا وأمريكا.. الفرق بين مجتمعنا الحائر.. ومجتمعهم المستقر!

إننا فى مصر لا نسمح للزوجة بأن تعترف لزوجها بماضيها حتى لو كان هذا الماضى لا يضم إلا علاقة بريئة طائفة لأن التقاليد القديمة البالية تصر على اعتبار أى علاقة بين فتى وفتاة خطيئة كبرى.. ورغم ذلك.. رغم إننا لا نزال ندعى التمسك بهذه التقاليد فإننا نرتكب هذه الخطئة، نرتكبها لأن واقع الحياة يحتم علينا ارتكابها ويدفعنا إليه دفعا.

ونحن لا نريد أن نفتح أعيننا إلى الفرق بين التقاليد التى ورثناها والواقع الذى نعيش فيه.

كانت التقاليد تعتبر العلاقة بين الفتاة والفتى مهما كانت هذه العلاقة.. خطيئة لأن الفتاة أيامها كانت لا تشترك فى الحياة العامة.. كانت سجين خلف المشربيات والبراقع.. وكان كل من يحاول الاتصال بها يرتكب جريمة مساعدة سجين على الهرب.. الهرب من التقاليد!

أما اليوم فقد تحررت الفتاة خرجت إلى الحياة العامة لتعيش فى مجتمع واحد مع الفتيان.. ولم يعد فى إمكاننا أن نطبق عليها لوائح السجن.. لم يعد فى إمكاننا أن نحرم الفتاة من تقبل ابتسامه من فتى ولا أن نحرمها من تبادل الأحاديث ولا من الحب إذا جمع بينهما الحب.

كل ما نستطيعه اليوم هو أن نعترف بالمجتمع الجديد وأن نعترف بأن التقاليد القديمة لم تعد تصلح له ثم نفكر فى تنظيم هذا المجتمع وفى وضع تقاليد جديدة له تخرجه من الصيرة التى يعانىها أفرادها.

وأول بند فى التقاليد الجديدة هو أنه ليس كل علاقة بين

فتى وفتاة تعتبر خطيئة وأن الحب نفسه - الحب العف البرىء - ليس خطيئة.

والبند الثانى ، أن هذه العلاقات يجب أن يعترف بها الآباء والأمهات ويضعونها تحت إشرافهم لتبقى علاقات بريئة طاهرة، فإن شعور الجيل الجديد بأن كل علاقة بين الجنسين هى خطيئة.

هذا الشعور هو الذى يدفعهم إلى الاختباء عن الآباء والأمهات والتحايل عليهم ثم يدفعهم إلى الخطيئة نفسها! وإلى أن نضع هذه التقاليد الجديدة.. إلى أن نعترف بالامر الواقع فى مجتمعنا.. إلى أن يكبر الرجال عندنا ويجدوا فى نفوسهم الجرأة على تفهم حقيقة الحياة.. إلى أن يحدث ذلك.. فإننى أحذر كل زوجة مصرية من أن تعترف لزوجها بحبها الأول.

الوحدة الثالثة

يبدو أنه أصبح من المحتم على ستات البيوت
أن يدرسن السياسة الدولية، وأولا يكتفين من
قراءة الصحف بصفحة الوفيات وإعلانات
السينما.. فقد دخل ساسة العالم إلى المطبخ □
ومدوا أصابعهم إلى ميزانية كل بيت، وقد يبتسم إيزنهاور
فينخفض سعر القوطة، ويكشر تشرشل فيخرج السكر من
التسعيرة، وتمد روسيا لسانها فتلطم أم عبده من سكان حي
الحسين خديها وتقعقع بالصوت.

الخبز مثلاً.. أصبح مشكلة دولية وأصبح رغبة العيش
لا يصل إليك في مصر إلا بعد أن تميل انجلترا على أذن أمريكا
ثم يميل كل منهما على أذن كندا، ثم يتبادل الجميع الرغزغات
مع روسيا والأرجنتين، ثم تنعقد هيئة تسمى «هيئة القمح
الدولية» ويتبادل أعضاؤها الشتائم والاتهامات لمدة شهر أو
شهرين. وأخيرا يصل الرغبة إليك!

وهيئة القمح الدولية تضم جميع الدول المصدرة للقمح مثل كندا، والمستوردة للقمح مثل مصر.. ما عدا روسيا والأرجنتين وبعض البلدان الأخرى التى تصر على أن تتعامل فى سوق حرة لا تقيدها أهواء الأمم المتحدة.

ويتفق أعضاء هيئة القمح الدولية على الكميات التى ستستطيع كل دولة تصديرها والكميات التى تحتاج كل دولة لاستيرادها.. ثم يعقدون فيما بينهم اتفاقيات تحدد السعر الأدنى والسعر الأعلى للقمح، وأمريكا وكندا هما الدولتان اللتان تتحكمان فى هذا السعر لأنهما أكبر الدول المصدرة.

وانجلترا - مثل مصر - دولة مستوردة للقمح، وقد لاحظت فى العام الماضى أن إنتاج القمح العالمى قد زاد زيادة كبيرة فطلبت من هيئة القمح الدولية تخفيض السعر طبقا لقانون العرض والطلب.. ولكن أمريكا رفضت حماية لمصالح مزارعيها، وأصررت على الرفض، فرفضت انجلترا التوقيع على الاتفاقية منذ العام الماضى، وذهبت تشتري القمح من روسيا بسعر السوق الحرة، حتى تستطيع ربه البيت الانجليزية أن تشتري الرغيف بثمن أقل.

وقد زاد انتاج القمح فى أمريكا هذا العام زيادة أخرى حتى انخفض سعره عن سعر السوق الحرة، وأخذ مزارعوها يهددون بضرورة تنفيذ الاتفاقيات الدولية فى حدود السعر القديم.. ولكن الدول كلها ستتحرر قطعاً من هذه الاتفاقيات، ولذلك أعلنت أمريكا أنها ستدفع معوناتا الاقتصادية للدول فى شكل زكائب من القمح.. ولو حدث هذا فمعناه أن تحصل

الدول على القمح مجاناً، وتستطيع بذلك أن توزع أرغفة الخبز على شعوبها مجاناً، ولكنها لن تفعل ذلك قطعاً، وإنما ستتولى الدولة بيع الخبز للشعوب عن طريق المخازن لتحصل على ثمنه وتضمه إلى ميزانيتها.. وكل ما قد يعود على الشعب هو أن يزداد وزن الرغيف.

هذه - باختصار - مشكلة الرغيف من الناحية الدولية.. وستعقبها حتماً بقية المشاكل، وقد تتألف هيئة دولية لتوزيع السكر وقد تتكون داخل هيئة الأمم المتحدة لجنة باسم لجنة الخيار الدولية وهيئة الشرايات النايلون العالمية ويصبح من أهم مسئوليات مولوتوف وإيدن ودالاس تحديد سعر البصل والملوخية والجبنة الرومي.. ويصبح على ربة البيت فى مصر أن تتصل بليك سكس لتعرف سعر البطيخ والزبد ومتر الدمور حتى لا يغشها بائع فى الغورية أو بين الصوريين.

هذه حقائق لا ريب فيها رغم ما يبدو من أسلوبها الساخر. فالعالم يسير بجنون نحو الارتباط بعضه ببعض حتى فى أدق شئون أفرادهم.. ولن يوجد مكان للمؤمنين بما يسمى العزلة أو الاكتفاء الذاتى أو الوطنية.. إننا نسير نحو ما يسمى العالمية. ابحث لنفسك منذ اليوم عن زوجة عالمية!!

هل أنا فيلسوف ؟

هل أصبحت فيلسوفا ؟

لا أدري.. فإنني أقرأ الفلسفة ولكني لا أريد أن
أكون فيلسوفا.. ورغم ذلك فإنني أشعر بأن قدمي
ترتفعان عن الأرض وأنا أغوص في أعماق الفكر

□ إلى أبعد ما تعودت وإنني أنظر إلى موكب الحياة كأنني
لا أشارك فيه وأنظر إلى الناس كأنهم أطفال صغار يعبثون
فأطل عليهم وبين شفتي ابتسامة ساخرة مشفقة كأنها
ابتسامة شيخ وقور خبر الحياة حتى ملها، وعرك الدنيا إلى أن
وجد الغنم في البعد عنها.

حتى ذوقني في القراءة بدأ يتغير وبدأت أهتم بما كنت
أعتبره مضيعة للوقت.. بدأت أقرأ طه حسين على أن مشكلة
الساعة هي موضوع الخلافة بعد موت عثمان بن عفان.. وبدأت
أحسد توفيق الحكيم لأنه يعيش مع شهرزاد ويستطيع أن
يناقش معها موضوع الجنة والنار ويستطيع أن يرى ملاك

الموت فى صورة محصل مصلحة الكهرياء.. وبدأت للمرة العاشرة بعد الألف أحاول أن أقرأ الصفحة الأولى من الكتاب الأول فى سلسلة الروائع المائة للأستاذ الفيلسوف عبدالرحمن بدوى.. وقد ترجمت على ماضى ومستقبلى عندما استطعت أن أصل إلى الصفحة الثانية.. ولكنى لا أريد.

لا أريد أن أكون فيلسوفا.

أريد أن أكون مع الناس، وأن أشارك بكل قطرة من دمي وكل عصب من أعصابى فى موكب الحياة.

أريد أن أعيش فى السعادة والعذاب، فى النجاح والفشل، فى الأمل والخيبة فى الابتسام والدموع.. أريد أن أكون حيث كنت دائما، وقدمائى ثابتتان على الأرض وقلمى معى. إنها معركة.

معركة بينى وبين قلمى.

قلم أريده أن يعيش معى فى الواقع الذى يحيط بكينا، وهو يحاول أن يجذبنى معه نحو السماء، سماء الفلسفة.

امسكوا بى.. قبل أن أطيرو!!

اليوم والصوت

إنى مصاب بالأرق منذ أسبوع.
إنى أعمل فى مكتبى معظم أيام الأسبوع حتى
الساعة الثانية صباحاً، وأتناول فى اليوم الأول
أكثر من عشرين فنجان قهوة وأحرق ثلاث علب ☐
سجاير.. ثم أعود إلى بيتى ورأسى أثقل من رأس تمثال
رمسيس الثانى، وطعم القهوة يملأ فمى وصدرى يضيق
بالدخان وأحاول أن أنام فلا أنام.
وأضئ النور وأقرأ.. وبجانب فراشى دائماً كل أنواع
الكتب.. كتب فى السياسة.. وكتب فى الأدب.. وكتب ثمينة
وكتب رخيصة وكتب بيضاء وكتب صفراء وأظل أقرأ حتى
تضيق عينائى وتعجزا عن التقاط السطور فأطفىء النور
وأحاول أن أنام فلا أنام.
وأخذ فى العد من واحد إلى مائة ثم إلى مائتين وإلى
خمسمائة.. ولكنى لا أنام!!

وأتلو فى صدرى بعض آيات القرآن.. ولا أنام وأقوم من فراشى وأدير بعض الأسطوانات، لأنى أعرف أن الموسيقى تريح الأعصاب ثم أرقد على الأرض بجانب «البيك آب» لعل ملاك النوم يرحمنى.. ولكنه لا يرحم ويتركنى لشیطان اليقظة! وأنتفض واقفا وأقوم ببعض الحركات السويدية ثم أطوف بغرف البيت وأحدق فى مجموعة الصور القليلة التى أحبها ثم أدخل غرفة ولدى لأحكم حول كل منهما الغطاء، وألقى بجسدى بجانب أحدهما وأضمه إلى صدرى كأنى أتوسل إلى الله بحق هذا الصغير أن يرحمنى.

ولكنى لا أنام!!

وفى خلال هذه الساعات أتعذب.. أحس بأعصابى تلتهب كأنى أطفأت فيها كل السجائر التى دخنتها فى يومى وأحس برأسى يضج وكأنه قد ركب فوقه آلة لك الأساس.. وأحس بجفونى يرخيها التعب ويشدها العذاب.. وكأنه قد غرزت فيها آلاف من الإبر.. وأحس بروحى تتور على كل شىء، تتور على نفسى وتتور على عملى وتتور على حظى فى الدنيا. أريد أن استريح.. أريد أن أغمض عيني.. أريد أن أنام.. أريد أن أموت!

ما هو النوم؟.. إنه موت مؤقت!

ورغم ذلك فإننا نريد النوم وكأننا نريد الموت! وعندما لا ننام نتعذب بالأرق، وعندما لا نموت نتعذب بالحياة!

وكثير من الفلاسفة تصوروا الحياة بلا موت فوجدوها

عذابا لم يجدوا بدلا من الموت إلا الأرق.. الأرق المضنى!
فى قصة «بندورا والهولندى الطائر» حكمت الآلهة على
المجرم الذى قتل زوجته.. بالحياة الخالدة حياة لا تنتهى
بالموت.. وفرح المجرم بهذا الحكم وظن أن الآلهة قد كافأته..
ولكن لم تنقضى السنون حتى بدأ يتعذب بالحياة.. بدأ يصاب
بالأرق الأكبر واستعطف الآلهة أن تعفيه من حكمها.. وحاول
أن ينتحر عشرات المرات ولكن الآلهة نفذت حكمها فيه.. وعاش
جيلا بعد جيل، ولم يكن ينقصه شىء من أسباب الحياة..
لم يكن ينقصه الشباب ولا الجمال ولا المال.. لم يكن ينقصه
إلا الموت.

وعندما عفت عنه الآلهة.. رحمته بالموت!!
وفى قصة «فاوست» يثور الرجل العجوز على الله لأنه
يضع لكل شىء نهاية، الإنسان يموت، والزهور تذبل والشمس
تغيب.. والشباب ينتهى إلى الشيخوخة.
ويبرز له الشيطان ويعقد معه صفقة.. أن يهب له شبابا
لا يموت، نظير أن يضع نفسه فى خدمته.. ويقبل الرجل
الصفقة.. ثم تسير الحوادث حتى يندم ويشتهى الراحة من
شبابه.. يشتهى الموت!

وأنا لا أريد الموت الأخير ولا اشتيهيه ولكنى أريد الموت
المؤقت.. النوم.. الراحة من اليقظة!
والذين حولى يسألوننى لماذا لا أذهب إلى الطبيب؟
إنه سيوصينى بالامتناع عن القهوة والسجائر وبتناول
أقراص منومة.

وأنا لا أستطيع أن أستغنى عن القهوة.. إنى أسكبها فوق
شبابى الذى حبسته بين جدران مكتبى كما يسكب الماء الرطب
حول القبر ليتعزى الميت من الجفاف الذى يضم جثمانه.
ولا أستطيع أن أمتنع عن السجائر.. ويخيل إلى أنى إن
لم أحرق السجائر فسأحرق نفسى.. لا بد من شيء أنفس به
عن الحمل الثقيل الذى تحمله أعصابى، والسجائر هى أخف
شيء!

أما الأقراص المنومة فهى تنيم كل شيء فى حتى عنادى..
وقد كنت أتناولها فى السجن لأنى لم أكن فى حاجة إلى
العناد.. أما خارج السجن فإنى فى حاجة إلى كل عنادى
لأتقدم.. ولكنى لا أتقدم.. إنى أجرى.. والعذاب يجرى ورائى
عذرا.

اعذرونى لهذا التشاؤم.. فإنى أكتب بعد ليل طويل أرق!

الحامي والجرم

هناك مناقشة قديمة حول موقف المحامي من
المجرم.

هل من حق المحامي أن يدافع عن المجرم وهو
مؤكد من أنه مجرم.. هل من حقه أن ينفق تهمة
القتل عن القاتل وهو يعرف أنه قاتل.. هل من حقه أن ينفق
تهمة السرقة عن اللص، وهو يعلم أنه لص؟!
الرأي الغالب - رأى السادة المحامين - يقول إن المحاماة هي
مهنة الدفاع عن الإنسان.. الإنسان المتهم.. سواء كان بريثا أو
مذنبا.. وقد تكون هناك دوافع إنسانية تبرز الذنب، أو تخفف
من عقوبته، وهي دوافع اعترف بها القانون في أكثر من مادة،
وواجب المحامي في هذه الحالة أن يبرر هذه الدوافع، حتى
يخفف العقوبة عن المتهم إن لم يبرئه.

وهناك بعض المحامين يرفضون الدافع في نوع معين من
القضايا.. كقضايا هتك العرض، أو قضايا المخدرات ولكن هذا

الامتناع ليس - فى الغالب - ترفعا، أو انعكاسا لمبدأ، ولكنه نوع من التخصص.. فالمحامى يرفض الدفاع عن قضايا المخدرات، لأنه يستطيع أن يستغنى عن أتعابه فيها، بأتعابه فى قضايا البنوك والشركات.. مثلا.

والمناقشة - كما قلت - قديمة، ويطول الحديث فيها. ولكن الجديد، هو تحديد العلاقة بين المحامى والمجرم.. تحديد العلاقة الشخصية بينهما.

هل يحدد المحامى علاقته بالمجرم على أنه مجرم.. وتقتصر العلاقة بينهما على موضوع القضية إلى أن تنتهى فينفض يديه منها، وهو متأفف.. قرفان.. رغم أنه قبض الأتعاب أم يعامله كزبون؟

يجامله كزبون.. وينافقه.. ويتودد إليه.. ويحاول أن يكسب صداقته.. ثم قد تستمر هذه الصداقة إلى ما بعد القضية.. وقد تنتهى إلى نوع من التعاون، رغم عدم اشتراك المحامى فى الجريمة.. كان يتولى - أى المحامى - إدارة أملاك المجرم إذا كانت له أملاك. أو يصبح مستشاره القانونى فى الجرائم التى يرتكبها.. أو.. أو.. ويقضى معه السهرات، ويدخل بيته.. و... ويرفع التكييف؟!

إنه سؤال مهم..

فالمحاماة تنقلب أحيانا، من مهنة الدفاع عن الإنسانية إلى مهنة تشجيع الجريمة وتأبيدها!

وفى كل الدول يعانى المجتمع من العلاقات التى تقوم بين المحامين والمجرمين.. علاقات التعاون.. وفى كثير من دول

العالم - خصوصا فى أمريكا - تكونت عصابات من المحامين تتعاون مع عصابات من المجرمين.. وظيفتها إرشاد المجرم إلى ثقب القانون التى يمكن أن تنفذ منه الجريمة.. ثم الدفاع عنه إذا قبض عليه.. ثم الإشراف على مصالحه وعلى عائلته وهو داخل السجن.

ونحن الآن فى حاجة إلى مناقشة هذا الموضوع.
وأنا لا أتهم أحدا..

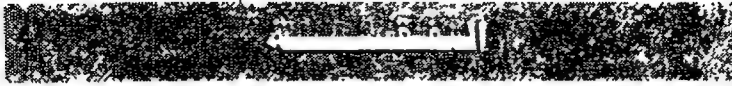
ولكن ..

الصداقة بين بعض المحامين وبعض كبار تجار المخدرات..
معروفة!

والصداقة بين بعض المحامين وبعض كبار اللصوص..
معروفة!

والعلاقة بين بعض المحامين وبعض المتهربين من الضرائب.. معروفة!

ولعل النقابة - نقابة المحامين - تفتح باب المناقشة وتحاول أن تضع حدودا واضحة لتقاليد المحاماة.. من أجل سمعة المحامين..ومن أجل كرامة المهنة!



سر الأحكام التى تشكو منها المرأة فى قوانين
الأحوال الشخصية، هو :
النفقة ..

إن حق الرجل فى جرجرة الزوجة إلى بيت ☐
الطاعة، هو حق مبنى على التزامه بالإنفاق عليها.. فما دام
ملزما بالإنفاق عليها، فمن حقه أن يحوزها، ولو بقوة البوليس!
وحق الرجل فى رد زوجته المطلقة، خلال ثلاثة شهور من طلاقها
هو حق يأخذه مقابل التزامه بالإنفاق عليها خلال هذه الشهور.
وحق الرجل فى الزواج من أربع، هو حق أساسه قدرته
على الإنفاق عليهن.

كل حقوق الرجل المتعلقة بالزواج والطلاق والحضانة
والإرشاد و.. و.. كلها قائمة على أساس أن الرجل مكلف
بالإنفاق على المرأة.

إنها مسألة اقتصادية محضة.

وقد صدر فى العراق قانون يساوى بين نصيبى الرجل
والمرأة فى الميراث.. للرجل مثل حظ الأنثى، لا مثل حظ

الأنثيين، كما تنص الشريعة.

واعترض رجال الدين.

واعترض رجال القانون أيضا.

وكان اعتراضهم قائما على أساس أن نفس القانون يلزم الزوج بنفقة زوجته.. ولا يلزم الزوجة بالإنفاق على الزوج.. ومعنى هذا أنها تأخذ نصيبها من الميراث، وتأخذ أيضا نفقة الرجل عليها.. ولا يبقى بعد ذلك شيء.

فإذا كان الميراث مائتي جنيه.. وأخذت المرأة مائة، والرجل مائة.. فإن الرجل سيضطرب بعد ذلك - وبحكم القانون إلى الإنفاق على المرأة خمسين جنيهًا من نصيبه.. على الأقل.. ومعنى ذلك أن المرأة ستحصل على ١٥٠ جنيهًا، والرجل ٥٠ جنيهًا فقط.. وكأننا قلبنا نص الشرع.. فبعد أن كان للرجل مثل حظ الأنثيين، أصبح للأنثى مثل حظ الرجلين.

ورأيت..

رأيت أن تتنازل المرأة عن حق إنفاق الرجل عليها، مادامت مصرة على أن تتساوى مع الرجل أمام قانون الأحوال الشخصية.. وما دامت المرأة تؤمن بحقوقها في المساواة، فليس من كرامتها أن تطالب الرجل بالإنفاق عليها.. ليس من كرامتها أن تدعى أن إنفاق الرجل عليها هو نظير متعة بها.. إنها ليست متاعا.. إنها إنسانة كاملة ذات شخصية مستقلة.. ومتعة الرجل بها.. تتساوى مع متعتها به.

هل ترضى المرأة أن تتنازل عن حقها في النفقة؟

إنها مسألة اقتصادية بحتة!

ويوم يصبح للمرأة استقلالها الاقتصادي.. يوم تعمل وتكسب وتعمل نفسها.. لن تحتاج إلى نفقة الرجل.. ولن يجادلها أحد في مطالبتها بتعديل قوانين الأحوال الشخصية..

مبنى الاشتراكية

المقدمة

كنت أتحدث مع زملائي عن الاشتراكية..
وقلت لهم إن التفسير اللفظي لكلمة «اشتراكية»
هو : الاشتراك في الحياة.. وكل مجتمع هو عبارة
عن مجموعة من الناس يشتركون في حياة ☐
واحدة.. أى أن كل مجتمع هو بطبيعته مجتمع اشتراكي!
وعلى قدر ما يحقق المجتمع من النظم الاشتراكية، يقترب
من طبيعته.

والاشتراكية لا تتحقق إلا بتحقيق العدل والمساواة.. والعدل
والمساواة لا يتحققان إلا إذا كان التفكير الذى يسيطر على
المجتمع، هو تفكير يشمل المجموع.. كل شئ لمصلحة المجموع..
وكل شئ يحسب فيه حساب المجموع.. والفرد هو واحد من
المجموع. ليس من حقه أن ينفصل عنه.. ليس من حقه أن
ينفصل عنه حتى بعواطفه.. فعواطف الفرد ليست ملكا خاصا
له، إنما هى ملك للمجموع.. للشعب!

وصاح أحد الزملاء :

— حتى العواطف!!

قلت :

- حتى العواطف.. الحب.. الكراهية.. والثورة.. والغيرة.. و..
و.. و... كل هذا لا يستطيع أن تنصرف فيه وحدك إلا فى
الحدود، وفى داخل النظم، التى اتفق عليها المجموع.

قال الزميل فى ذهول :

- كيف ؟

قلت :

- إنك لست حرا فى أن تحب امرأة متزوجة، مثلاً.. وإذا
أحببتها فليس من حَقك أن تمارس حبك.. وإذا حاولت أن
تمارسه فستضطر إلى الاختباء.. إلى الهرب من المجتمع لأن
المجتمع لا يقر هذا الحب.. ولا يسمح لعواطفك أن تتجه هذا
الاتجاه.. ثم إنك لو أحببت فتاة، فالمجتمع أيضا يتدخل فى حبك
ويحدد لك الطريق الذى يجب أن تسير فيه عواطفك ويفرض
عليك الزواج.. فإذا لم تتزوج، وقف المجتمع يعارض عاطفتك
ويحرمك من حَقك فيها.. وأنت لست حرا فى أن تتجه بعواطفك
نحو أعداء وطنك اتجاهها يخالف اتجاه الشعب حتى لو كنت
مقتنعا بحب أعداء الوطن والتعاون معهم.

فليس من حَقك كفرد أن تتجه بعواطفك الوطنية اتجاهها
فرديا.. وإلا أصبحت خائنا، وحكم عليك المجتمع بالإعدام..
كذلك لو أعلن الشعب الحرب، فليس من حَقك أن تنادى
بالسلام، حتى لو كانت كل عواطفك مع السلام.. وإلا اعتبرك
الشعب هاربا من تأدية واجبك الوطنى.. و.. و..

فالمجتمع يتدخل فى عواطف الأفراد ويحددها وينظمها تماما
كما يتدخل المجتمع الاشتراكى فى نشاط أصحاب رؤوس
الأموال، ويتجه بهذا النشاط اتجاهها يحقق الضالغ العام.

الزواج

ليس هناك نصف زواج أو ربع زواج.. هناك زواج أو لا زواج.. وحكاية الزواج الأولى هي :
الإشهار.. إشهار علاقة رجل بامرأة.. أى مواجهة المجتمع بالعلاقة بين الإثنين. □

ويتساوى فى هذا الزواج الشرعى والزواج العرفى.. فالزواج الشرعى الذى لا يتوافر فيه عنصر الإشهار.. أى الذى يتم فى السر.. ويبقى سراً.. لا يعتبر زواجاً حتى ولو اعترفت به الدولة.

والزواج العرفى الذى يعلن للناس، يعتبر زواجاً كاملاً.. حتى لو لم تعترف به الدولة.

المهم هو الإشهار.. هو العلانية.. هو أن يعترف المجتمع أن هذه المرأة قد أصبحت لهذا الرجل، حتى يحدد - أى المجتمع - نظرته لهما، وتصرفاته حيالهما، ويرتب لهما الحقوق الاجتماعية ويعترف بأولادهما.

فالزواج أساساً، هو تنظيم اجتماعى لعلاقة الرجل والمرأة. بل إن بعض المجتمعات اضطرت تحت ظروف خاصة، أن تعترف بعلاقة الرجل بالمرأة، بلا زواج، ما دامت هذه العلاقة قد أقيمت فى العلن وتوافر فيها عنصر الإشهار.

وقد قال لى صديق عاد أخيراً من الأرجنتين، إن الناس هناك متدينون أشد التدين.. والدين يحرم الطلاق تحريماً مطلقاً.. ويحدث أحياناً أن يستحيل على الزوجين الاستمرار فى حياتهما الزوجية.. فينفصلان.. ينفصلان بلا طلاق.. ثم يبقى كل منهما فى حاجة إلى نصف آخر.

وكل منهما لا يستطيع أن يتزوج مرة أخرى.. وتكون النتيجة أن تتخذ الزوجة المنفصلة عشيقاً.. ويتخذ الرجل المنفصل عشيقة.. ومع الزمن تعددت هذه الحالات حتى شملت عدداً كبيراً من الناس.. وأصبحت تتم فى العلن.. فى مواجهة الناس.. أصبحت المرأة المتزوجة المنفصلة تعيش مع عشيقها حياة كاملة.. وأصبح الزوج المنفصل يعيش مع عشيقته حياة كاملة.. وتطورت التقاليد - تحت إلحاح الحاجة - فبدأ المجتمع يعترف بهذه الأوضاع.. وأصبح يعامل الرجل وعشيقتة، أو المرأة وعشيقتها كأنهما زوجان.. بل اعتبرهما زوجين.. أصبح المجتمع يدعوهم إلى الحفلات الرسمية والخاصة.. ويعترف بأولادهما كأولاد شرعيين.. و.. إلى آخر الحقوق التى يمنحها المجتمع لكل زوجين.

فحتى هذه العلاقة التى لا تقوم على أساس من الدين أو الشرع قد أقرها المجتمع، لأنها نتيجة حاجة اجتماعية، ولأنها

تقوم على أساس الإشهار.. العلانية !
ومجتمعنا لا يمكن أن تقوم فيه مثل هذه العلاقة لأن ديننا
يبيح الطلاق..

ولكن..

مجتمعنا أصيب فى السنوات الأخيرة بوباء الزواج فى السر
سواء كان زواجا شرعيا أو عرفيا.. والأسباب التى تدفع
الزوجين إلى الاحتفاظ بزواجهما سرا.. كثيرة.. وقد يكون
الزوج متزوجا من أخرى، ويخاف منها.. أو قد تكون الزوجة
لها معاش حكومى، تركه لها زوج آخر، ولا تريد أن تحرم
منه.. أو.. أو..

ومثل هذا الزواج، لا يعتبر زواجا.. لا أمام الله، ولا أمام
الناس..

الزواج هو الإشهار.

وكل علاقة لا يتوافر فيها الإشهار.. أو العلانية.. لا تعتبر
زواجا.. ولا يترتب عليها حقوق اجتماعية.. حتى لو ترتب
عليها كل الحقوق المدنية.

الأسبوع

الأسبوع

ما هو أثر المخترعات العلمية الحديثة ؟
ما هو أثر الصاروخ الذى ينقلك من القاهرة
إلى الاسكندرية فى نصف دقيقة.. والآلة التى
تضغط على مفتاحها فتقدم لك فرخة مشوية،
وتعزف لك قطعة موسيقية لتساعدك على الهضم..
والتليفزيون.. والوصول الى القمر.. و.. إن كل هذه
المخترعات تبحث عن الهدف، هدف الإنسان وتقضى على
المتعة.. متعة السير فى الطريق الى الهدف .. إن الصاروخ
ينقلك إلى الاسكندرية فى نصف دقيقة فيحقق لك الهدف الذى
تريده.. ولكنه يحرمك من متعة الطريق.. من متعة قيادة
سيارتك فى الطريق الصحراوى.. أو التأمل من نافذة القطار
فى جمال الطبيعة.

والتليفزيون ينقل السينما إلى بيتك.. ولكنه يحرمك من متعة
الذهاب إلى دار السينما.. متعة التألق فى ثيابك قبل أن تخرج..

ومتعة التسكع على باب السينما قبل عرض الفيلم.. ثم متعة إحساسك بأنك بين الناس داخل السينما.

وقد يظهر قريباً اختراع لتقصير مدة الحمل.. تتناول المرأة بَعْضَ الحَبُوب فتحصل وتلد فى ثلاث دقائق.. ويتحقق الهدف.. يصبح لها ابن.. ولكنها تفقد متعة تعلقها برجلها، ومتعة انتظار وليدها، هذا الانتظار الذى يولد فيها أحاسيس الأم، وشخصية الأم.

وهذه المخترعات ستعيد الإنسان إلى عهد الكهف.. ولكنه لن يكون كهفافى الصخر.. بل سيكون كهفاً من الألومنيوم، مزوداً بتليفزيون، وفريجيدير، ومطبخ كيميائى يعمل أوتوماتيكياً، فتضغط على زر فيه فتخرج لك صينية بطاطس فى « حباية ».. قرص صغير كقرص الاسبرين.. ولن تكون فى حاجة إلى أسنانك.. وبمرور الأجيال سيولد الإنسان بلا أسنان لعدم حاجته إليها.

ولن يحتاج الإنسان إلى الخروج من كهفه.. فكل مايريده سيجده داخل الكهف.. بل لن يضطر إلى الخروج ليعمل فالحمل كله ستقوم به الآلة.. آلة تنتج.. وآلة تدير الآلة وتنتهى سلسلة الآلات إلى زر يضغطة صاحب المصنع وهو جالس فى حجرة نومه، وأمامه لوحة الكترونية تبين له انتظام سير جميع الآلات.

وبهذا لن يحتاج الإنسان إلى المجتمع.. لن يحتاج إلى الاتصال بغيره من الناس.. فإن المجتمعات تقوم على احتياجات الأفراد بعضهم لبعض.. كل فرد يتمم عمل الآخر. وعمل

الجميع يكون سعادة المجتمع.. ولكن.. فى عالم الغد سترتبط حاجة الإنسان بالآلة.. ويصبح المجتمع مجتمع آلات.. فالآلات محتاجة بعضها إلى بعض.. كل آلة تتمم عمل الآلة الأخرى.. ولن تقام حفلات اجتماعية، لأن الجفلات دوافعها حاجة الإنسان إلى التسلية.. وسيجد الإنسان فى بيته كل أدوات التسلية دون حاجة إلى الاستعانة بغيره من الناس.. ستصبح الحفلات الوحيدة هى الحفلات التى تقيمها الآلات داخل المصانع !!!

معنى هذا.. أن العالم يندفع نحو المادية والآلية.

وما مصير الفنون ؟..

ستزدهر الفنون.. سيصبح الفن هو العمل الوحيد الذى يقوم به الإنسان.. فإن الإنسان فى المجتمع الآلى سيتسع أمامه فراغ كبير.. الفراغ الذى كان يشغله بالسفر إلى الاسكندرية فى سيارة أو فى قطار.. وبالعامل فى دواوين الحكومة.. والمصانع..و..و.. مما ستقوم به الآلات.. ولن يجد الإنسان مايشغله به الفراغ إلا الفن.. الموسيقى، و'لادب، والرسم.. فإن الفن هو العنصر الوحيد الذى لا تستطيع الآلة مهما تقدمت أن تغتصبه من الإنسان.

ولكن الفنون ستتطور.. سيصبح لها لون آخر، فالفنون عادة هى تعبير عن القوة المسيطرة على المجتمع.. ومعنى آخر.. القوة المسيطرة على المجتمع تؤثر على تشكيل الفنون فعندما كانت الطبقة الأرستقراطية هى المسيطرة على المجتمع كانت الفنون تعبر عن هذه الطبقة.. كانت الموسيقى هى موسيقى

الأوبرات التى يتكلف إخراجها آلاف الجنيهات وكانت الرقصة السائدة هى رقصة « الميناتير » رقصة ناعمة كسولة.. وكان الأدب كله أدباً رومانسياً.. ثم عندما سيطرت الطبقة الشعبية، سيطرت الفنون الشعبية.. موسيقى « الجاز ».. ورقصات الرومبا والتشاتشا.. والأدب الواقعى.. وعندما تسيطر قوى الحرب، تدور الفنون حول الحرب، وهكذا.

ومجتمع الغد، هو مجتمع الآلة.

ستكون الآلة هى المسيطرة.. ستكون أقوى من الإنسان وسيكون للإنسان أخلاق الآلة، وطبائع الآلة.. تماماً كما سيطرت طبقة العبيد فى روما، وفرضت تقاليدها وأخلاقها، وأصبح المجتمع كله له تقاليد العبيد، وأخلاق العبيد. وبذلك سيتطور الفن، ويصبح له تقاليد الآلة، وذوق الآلة، وموضوع الآلة.



فكرت فى هذا كله وأنا أتخيل قصة يمكن أن تدور وقائعها بعد ألف سنة.

وتصورت أن المخترعات الحديثة يمكن أن تحيى الموتى.. وتجسدهم فى أجساد جديدة.

وليس هذا مجر، خيال.

إنه استنتاج.

فقد استطعنا أن نجمع الصوت من الفضاء ونجسده فى آلة الراديو.

واستطعنا أن نجمع الصورة من الهواء، ونجسدها فى آلة

التليفزيون.. بل إن التليفزيون استطاع أن يجسد الصورة بألوانها، ويجسدها مجسمة.. وأرواح الموتى هائمة فى الهواء.. لأن الروح لا تفنى.. لا شئ يفنى.. ومن المعقول أن تبتدع آلات تجسد هذه الأرواح، فى أجساد جديدة.. وتصورت عودة بعض الموتى، ومفاجأتهم بالمجتمع الجديد.. ولكنى وجدت أن الفكرة قديمة سبق أن طرقت فى قصة « أهل الكهف »، و « حديث عيسى ابن هشام » !



والله.

ما مصير الإيمان بالله، إزاء كل هذه المخترعات ؟! البعض يقول إن تقدم العلم سيزيد من اعتداد الإنسان بنفسه إلى حد أن يكفر بالله. بالعكس.

إن إيمان الإنسان بنفسه.. سيزيد من إيمانه بالله الذى خلق هذه النفس.. وكلما كشفت النفس عن سر من أسرار الله.. بهرت.. وازدادت إيماناً به. وأقوى ما تتمثل فيه قدرة الله.. الإنسان..

الشنان والناقد

للأديب الراحل كامل الشناوى رأى عن العلاقة بين «الفنان» و «الناقد» فهو يرى أن هناك عداً طبيعياً بين الناقد وبين المفكر والفنان.. فالمفكرون والفنانون يرون أنهم لو لم يكونوا لما كان للنقاد وجود.. فهم لا يخلقون الأثر الفنى وحده، ولكن يخلقون الناقد أيضاً ! وإلا كيف يوجد الناقد إذا لم يجد ما ينقده ؟ ولهذا يؤلمهم أن يتعالى النقاد عليهم.. لأنهم خالقون، والنقاد مخلوقون. وهذه وجهة نظر.

وأنا ككاتب تعرض كثيراً للنقد - لى وجهة نظر أخرى.. فأننا لا أؤمن بأن هناك عداً طبيعياً بين الفنان والناقد.. وإذا وجد هذا العداً فهو لا يكون عداً طبيعياً.. وإنما هو عداً نتيجة خطأ من الناقد أو الفنان.

وأنا أعتقد أن النقد - كما يجب أن يكون - هو مساهمة فى العمل الفنى.

الناقد ليس عدواً للفنان، ولا منفصلاً عنه.. ولكنه صديق للفنان، ومتمم له، وعمله هو جزء من العمل الفنى.. وقد عرف طائر « أبو قردان » بلقب صديق الفلاح، ورغم أبو قردان لا

يشارك فى زراعة الأرض.. ولكن الفلاح يزرع وأبو قردان يلتقط من الأرض الديدان التى تضر الزراعة.

وكل ناقد يستطيع أن يسمى صديقاً للفنان.. كل ناقد يستطيع أن يكون أبا قردان !

وإذا كان قد قيل عن النقد إنه مرآة للفن، فإن المرآة هى جزء متمم لمحاولة خلق الجمال.. إنها تساهم فى عملية الخلق نفسها والمرآة لا يمكن أن تكون جميلة، ولا يمكن أن تتقدم فى فن الجمال، بغير مرآة.. والمهم أن تكون المرآة صافية، ليست صدئة.. وليست كاذبة.. ليست كمرايا لونا برك التى تشوه الجمال.

والناقد فنان.. أو يجب أن يكون فناناً.. فإن النقد يعتمد على الذوق.. والذوق حاسة فنية، إذا صقلت بالثقافة والدراسة، والتجربة، أصبح صاحبها فناناً.. وبذلك يكون الناقد فى نقده خالقاً وليس مخلوقاً.. تماماً كالفنان.. ولكن.

المشكلة ليست هى مشكلة العلاقة بين الفنان والناقد.. ولكن المشكلة هى فى النقد أنفسهم.. فالنقاد عندنا لم يستطيعوا بعد أن يرتفعوا إلى مستوى النقد الخلاق، ولم يستطيعوا أن يتفرغوا للنقد، ويبدلوا فيه من الجهد والدراسة والملاحظة، بحيث يساهمون مساهمة فعالة فى العمل الفنى.. ومعظم النقاد عندنا اليوم هم كتاب حاولوا أن يكونوا فنانين، فلما فشلوا أصبحوا نقاداً.. وأصبح النقد بالنسبة لهم هو مجرد تنفيس عن شهوة الكتابة.. كما أن كثيراً من النقاد ينقدون العمل الفنى، لا لأنهم نقاد، لهم مؤهلات النقد، إنما لأنهم مجرد كتاب فى الصحف.. والصحف عادة ترحب بالهجوم، أكثر مما ترحب بالتأييد.. كما أن كثيراً من النقاد يحكمون فى آرائهم بشعورهم الشخصى أو علاقاتهم الشخصية بالفنان، أكثر مما يحكمون بمقاييس الفن نفسه.

هذه هى المشكلة.

وكثيرون من الأدباء يترحمون على أيام نهضة المعارك الأدبية التى قامت على النقد.. أيام طه حسين، والعقاد، والمازنى، وشوقى، وحافظ إبراهيم.. و.. و.. والواقع إن الذين كانوا يسيطرون على هذه المعارك ليسوا هم النقاد لم يكن هناك تخصص فى الإنتاج الفنى، وفى النقد.. كان طه حسين يخلق عملاً فنياً، وفى الوقت نفسه يتقد أعمال غيره.. وكذلك المازنى.. والعقاد.. ويحى حقى.. وكلهم.. ولو كانت هذه المعارك قد قامت بكل ما كان فيها من عنف، وقسوة، وظلم، على أكتاف النقاد وحدهم لا انتهت قطعاً بقتل الحركة الأدبية الحديثة وهى فى مهدها.. ولكن النهضة الأدبية اجتازت هذه المعركة بسلام، لأن الذين أثاروها كانوا فنانيين، وكانوا يحاولون بناء أنفسهم، بقدر ما يحاولون هدم غيرهم.

والدليل على ذلك أن نهضة المسرح تعرضت لإرهاب مجموعة من النقاد، ليسوا فنانيين.. أى ليسوا ممثلين.. فكانت النتيجة أن ضاعت نهضة المسرح.. وكذلك نهضة السينما.. ولولا الجهود التى تبذل هذه الأيام لاستعادة نهضة المسرح والسينما، لاستطاع النقاد أن يقضوا عليها إلى الأبد.. بجهلهم ولعدم اعتزازهم بدورهم فى تشييد البناء.

وليس معنى هذا أن الناقد يحب أن يكون ذا إنتاج فنى.. بالعكس.. الناقد كلما تفرغ للنقد واستطاع أن يرتفع بمستواه.. ولكن ما أريد أن أقوله .. إنه لم يكن عندنا أبداً - وإلى اليوم - حركة نقدية بمعنى المساهمة فى العمل الفنى.. والذين يتعرضون للنقد هذه الأيام ليست لديهم نية المساهمة فى العمل الفنى إما لأنهم يريدون.. وإما لأنهم لا يستطيعون !

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا إِذْ هَدَانَا لَهْدَانَا

إني ذاهب إلى دير سانت كاترين، وفي قلبي
رهبة، وفي عقلي خشوع.
إني أحاول أن أجرد قلبي وعقلي.
أحاول أن أخلص إلى الله.



لا بد أن الله سيكون هناك، قريباً مني.. فهناك التقى موسى
بالله، وتلقى منه وصايا العشر.
ولن التقى بالله كما التقى به موسى، ولكني سأكون قريباً
منه.. وأنا أعرف أن الله في كل مكان.. إنه في مكتبي بروز
اليوسف، كما هو في مكة، وكما هو في باريس.. إننا لا نسافر
إلى الله ولكني كنت أعيش في وهم.. وهم تثيره صورة دير
ملقى في الصحراء بعيداً عن الحياة.. ورهبان تبتلوا في حب
الله.. وجرس كنيسة يدق، ومثذنة جامع تثبثق من بين صخور
الجبل.. وكان هذا الوهم يساعدني على التجرد.. كنت في حاجة
إلى هذا الوهم حتى ارتفع بقلبي وعقلي إلى الله.. إلى الهدوء..
إلى سكينة النفس.. إلى الحب الأكبر.

وانطلقت بى السيارة تحملنى إلى وهمى. إننا نسير فى الصحراء.

لا طريق.. أن كل ما يرشدنا هو آثار عجالات السيارات التى سبقتنا.. والسيارات التى سبقتنا لم يكن لها فضل فى اكتشاف طريقها، إنما سارت بمحاذاة مجرى السيول، الذى يشق بطن الوادى.. أرشدها الله.. ولا شئ حولنا إلا عظمة الله.. الجبال الملونة الجرداء تطل علينا وتنظر إلينا فى قسوة كأنها تذكر كلا منا بخطيئته.. والرمال الغامضة تفرش طريقنا.. وصخور وحشائش.. وصمت.. صمت رهيب.. وأحاول وسط هذه العظمة أن أتوجه بقلبى إلى الله.. ولكن السيارة ترتفع وتنخفض كأن يداً قاسية تحاول أن تحطمها.. مطب.. ويسقط قلبى فى قدمى.. وأعجز عن التوجه إلى الله.

إننى وأنا فى طريقى إلى الله لا أستطيع أن أنظر إلى السماء، وإنما أنظر إلى الأرض لأتربق المطبات، وقطع الصخور التى قد تصطدم بها السيارة.. والأسطى أنور يعرف الطريق.. يعرف كل مطب فيه، وكل صخرة.. وأحياناً يترك طريق السيارات، ويرتفع إلى طريق آخر، تجنباً لكثيب من الرمل قد تغرز فيه السيارة.. ورغم ذلك فقد غررنا.

ونزلنا من السيارة نزيح الرمال بأيدينا من تحت العجلات، ونقطع الحشائش، ونفرشها فوق الطريق حتى تخفف من نعومة الرمل.. و.. اللى يحب النبى يزق.. وكلنا يحب النبى.. وعندما نسير فى بطن الوادى.. وادى « فاران » ولكنه معروف باسم وادى « قيران » والجبال تلف وتدور حولنا، وتقسم الوادى الكبير إلى عدة وديان صغيرة.. وادى رمانة.. وادى الشيخ.. و.. والأسطى أنور لا يكف عن الحديث عن

أبونا نيكوفورس.

إنى منذ عبرت القنال، وأنا أسمع اسم أبونا نيكوفورس..
فى نقطة الحدود حدثونى عن أبونا نيكوفورس.. وفى
أبى زنيمة حديث عن نيكوفورس.. وفى أبو رديس.. و.. وإن
أحدًا لا يحدثنى عن الله، كلهم يتحدثون عن أبونا نيكوفورس.
وتمر بنا السيارة من بعيد.. شئ صغير يتحرك وسط هذا
الصمت.

- مين دول يا أسطى أنور ؟

- دول بتوع الجراد يا أستاذ !

وبتوع الجراد هبم رجال مقاومة الجراد، يطوفون بالوادي
ليقتلوا الجراد قبل أن يصل إلى وادينا.. وادى النيل.. وسيارة
جيب تقطع الطريق فى سرعة مجنونة.. والسرعة المجنونة فى
الصحراء لا تزيد على ستين كيلو مترًا.

- مين دول يا أسطى أنور ؟

- دول خبراء الفحم يا أستاذ.

وخبراء المناجم الفحم روسيون.. وهم ليسوا فى طريقهم
إلى المناجم، إنهم مثل فى طريقهم إلى الدير.. وربما كانوا مثلى
يبحثون عن الله.. حتى الشيوعيون فى حاجة إلى الله !

ويعود الأسطى أنور ليتحدث عن أبونا نيكوفورس !

وتقف السيارة ريثما تهدأ، وتخف سخونتها.. والوادي
حولنا مغطى بقطع الصخور الملونة.. كل الألوان.. الأصفر
والأخضر والبنفسجى والأحمر.. كأن الأرض « بالته » رسام
اختلطت بها كل الألوان.. وأنزل من السيارة. وأهم برفع حجر
من هذه الأحجار.. أمد يدي لالمسه كأنى أحاول أن ألمس عظمة
الله.. وإذا بالأسطى أنور يصرخ بملء فمه :

- لا تقلب الحجر.

- ليه ؟

- قد يكون تحته عقرب.. أو تعبان.. أو طريشة !

و « الطريشة » نوع من الحيات.. قصيرة.. تقفز في وجهك.. وتلدغ.. كأنها تقبلك.. وقبلتها هي قبلة الموت.. ولا علاج ولا رحمة من قبلة الطريشة !!

وخيل إلى في لحظة إنى لو صادفت عقرباً أو طريشة، فسأربت على ظهرها.. وأدللها.. أليست هذه من مخلوقات الله؟ وأنا أحب الله وأحب مخلوقاته.. هذا الحب الكبير. ولكن يظهر إنى أضعف من هذا الحب الكبير.

فقد سحبت يدي من فوق الحجر بمجرد أن سمعت صوت الأسطى أنور.. وأخذت أنظر تحت قدمي خوفاً من أن يكون هناك عقرب أو طريشة تزحف تحوى.. ثم عدت إلى السيارة لأكون أكثر أمناً !! وبردت السيارة.

وعادت تلهث صاعدة في الوادى الكبير، نحو الجبل.. ولا أحد نلقاه في طريقنا.. لا شئ من الحياة سوى هذه الحشائش التى تنبت بين الصخور.. والحشائش تغزو كلما تقدمنا فى جوف الصحراء.. إننى كلما رأيت حشائش اقتنعت أن تحتها ماء.. ماء قريب من سطح الأرض.. وإذا كان الماء قريباً، فلماذا تبدو الحياة بعيدة.. هنا فى شبه جزيرة سيناء.. ربما لأننا أكسل من أن نبحث عنها.. عن الحياة !!

والحشائش تغزو أكثر.. وبدأنا نلتقى بأفراد من البدو.. أو «البدوان» كما يسمونهم.. وكل منهم يبدو كقطعة من الطبيعة.. كهذا الحجر.. كهذا الكتيب من الرمال.. كهذا الجبل إن كل

ما يحمله من مظاهر الحياة هو أنه يتحرك.
وبدوى يركب جملاً، ويتمنطق بمجموعة من الأحزمة
الجلدية يلفها حول وسطه وحول كتفه.. وينزل من فوق الجمل
بسرعة، ويلوح بيده إلينا، وهو يصيح :

- سجاير.. سجاير !!

والأسطى أنور لا يريد أن يقف لنعطى للرجل سجاير !
ثم نصل إلى أول واحة.
اسمها الحصوة.

مجموعة من البيوت الصغيرة مبنية من الصخور.. نفس
الصخور الملقاة فى طريقنا.. وأبوابها مدهونة باللون الأحمر
الفاقع.. وبئر خارج الواحة.. ويضع نساء فى ثيابهن البدوية
يدلين فى البئر العميقة، شادوفاً يرفعن به الماء.. والنخيل يظل
البيوت.. وأشجار الزيتون.. ورجل يخرج إلينا، ويصافحنا.. و..
أفضل شاي.. شكراً يا شيخ العرب.. ونساء ينظرن إلينا من
 وراء الباب، ولا تكاد تلتقى عيوننا بهن حتى يختفين.. وأطفال
يجتمعون حولنا.. وتحس أنك عدت إلى الحياة.. الحياة أيام
سيدنا موسى.

وأنحنى على طفل :

- اسمك إيه يا شاطر !؟

- موسى..

ويخيل إلى أن تسعة أعشار أهل سيناء يحملون اسم
موسى.. والبناات يحملن اسم : موسية..
وشيوخ العرب بجانبنا ولا تكاد نباعد عنه، حتى يرسل إلينا
ابنه موسى، ليطلب منا سيجارة.
ونعطيه علبة سجاير.

ويتعجلنا الأسطى أنور.. إننا لن نستريح هنا.. يجب أن
نصل إلى حديقة الدير.

ونصل إلى حديقة الدير، على أطراف واحة فيران.. وليس
معنى ذلك أننا أصبحنا قرييين من الدير نفسه.. لا يزال بيننا
وبين الدير ساعتان !!

ويفتح أمامنا باب خشبي صغير.
وندخل في حديقة مزروعة بالعنب.. والعناقيد المليئة فوق
رؤوسنا وتكاد تلامسنا.. وأشجار التفاح، والبرقوق والزيتون،
تملأ الهواء بعبير حلو.. وخيل إلى أنى أخطو إلى الجنة..
والجنة ليست في العنب والتفاح والبرقوق، ولكن في هذا
الهدوء الذى يستقبلنا، ويزحف على أعصابنا ويخدرها..
ويخرج إلينا قسيس جليل.

سمين.. وجهه هادئ.. وبين شفثيه ابتسامة هادئة.. وفي
عينيه ذكاء.. ذكاء طيب.. ولكنك تحس أنه يستعمل هذا الذكاء
كسلاح.. سلاح ماض.. سلاح قوى !

ويقودنا القسيس إلى خميلته وسط الحديقة.. فى وسطها
مائدة وحولها مقاعد.. ويجلس القسيس فى بطة وكسل، كأنه
ليس فى حاجة إلى أن يقوم مرة ثانية ونجلس حوله، والتفت..
فتصدمنى الدهشة.. إن فى أحد أعمدة تكعيبه العنب دفتر
تليفون معلق.. دفتر تليفون !!

هل عندك تليفون يا أبونا !!

ويضحك أبونا بركليس.. لا، ليس عندى تليفون.. إنى أحتفظ
بهذا الدفتر لمجرد قراءة الأسماء بين وقت وآخر.. وقراءة
الأسماء تعيد إلى ذكر الحياة.

ويقدم لنا أبونا أقداح الشاي.. ويحدثنا.. وعندما نهم

بالنقاط صورة له، يختار بنفسه المكان الذى يقف فيه.. ويسرع ويأتى بقبعة الدينية ويضعها فوق رأسه.. وتطول جلستنا معه، وكلما طالت اقتربنا من الحياة أكثر من اقترابنا من الله.. إنه يعيش وحده.. ليس معه أحد إلا خادم من البدو.. ليس معه ولا قسيس آخر.. ورغم ذلك فهو يضج بالحياة.. الحياة بكل زحامها.

والبيت الذى يقيم فيه أبونا يقع فى جانب من الخميلى.. وتدخل البيت.. إنه يلمع من النظافة.. وفى كل ركن منه فكرة.. اختراع.. قد يكون اختراعا ساذجا.. ولكنه اختراع.. خرطوم ليمد الماء إلى الحنفية.. وحبل تشده فيفتح الشباك.. و.. و.. وفى كل مكان لافتة مكتوبة باللغة الانجليزية.. لا تلق الأوراق هنا.. ضع المنشقة فى مكانها.. إلى الحديقة.. و.. و.. وتحس أنك فى مكان سياحي، أكثر مما تحس أنك فى صومعة رجل دين.

وأبونا بركليس لا يهتم كثيرا بأسرار الدين.. إنه لا يزال بالنسبة لرجال الدين فى درجة «فوفيس» أى «مستجد» وهو لا يطمع فى أن يرتقى عن هذه الدرجة.. ولا يحاول.. إنه يكتفى من الدين بأن يكون رجلا طيبا.. وهو يعتمد أن يبتعد عن الدين ورجاله.. هنا أريخ.. أنا هنا ملك زمانى.

ماذا أتى به إلى هنا ؟

ماذا جعل منه راهبا ؟

لقد كان منذ عام ونصف فقط مديرا لإحدى دور السينما فى الاسكندرية.. كان يعيش بعقله مع جريجورى بيك وجينا لولو بريجيذا.. ثم فجأة ترك السينما وجاء إلى الدير ولبس مسوح الرهبان.

لماذا ؟

ويبتسم الأب بركليس ويقول باللهجة العربية المكسرة: هنا مرتاح كثير!! ثم لا يزيد..

وأسأله، لأجره إلى الحديث عن قصته :

- هل كنت متزوجا.

ويتردد بركليس قليلا، ثم يقول :

- نعم.. كنت متزوجا.. وماتت.

- والأولاد.

- لا.. ليس عندي أولاد !

ولا تستطيع أن تخرج بشيء أكثر من هذا من أبونا بركليس.. ولكن «البدوان» يروون لك قصة كاملة.. إن لديهم عن كل راهب قصة.. ربما كانت قصة كاذبة.. ولكنها قصة والسلام.. إنهم يروون عن أبونا بركليس أنه كان متزوجا.. ولم تمت زوجته، ولكنها صدمته صدمة عاطفية.. فبدأ يحاول أن ينسى.. بدأ يقامر.. وبدد كل ما يملك.. وبعدها جاء إلى الدير.. ليجد الهدوء.

ونهم بالانصراف.. ويهمس الأسطى أنور في أذني :

- أترك له ثمن الشاي ؟

ودهشت.. دهشت إلى حد الذهول.. وقلت للأسطى أنور :

- كام ؟

- ثلاثون قرشا !

وأخذ منى أبونا ثلاثين قرشا، وكل مظاهر التعفف التي بدت عليه هي أنه أسبل عينيه.. وأحسست أكثر إنى فى مكان سياحى ولست فى مكان دينى.. وضاع منى إحساسى بأنى قريب من الجنة.. قريب من الله.

وصاح وراءنا أبونا بركلييس :
- سلموا لى على أبونا نيكوفورس.
- الله يسلمك.

وعادت السيارة تلهث صاعدة إلى الدير.. وسرنا فى طريق
واحة فيران.. طرق ضيقة ملتوية بريئة من يد أى إنسان..
والنخيل يحيط بنا.. نخيل يتزاحم بعضه فوق بعض، ويصطدم
بالسيارة.. وأشجار الزيتون.. وعناقيد العنب.. إنها جنة.. إنها
أرض خصبة.. وعلى جانب الطريق مجرى ضيق يجرى فيه
الماء.. من أين يأتى هذا الماء ؟

من ماكينة الشيخ موسى !

والشيخ موسى هو صاحب كل هذا النخيل.. وكل هذه
الحدائق.. وعنده ماكينة تشد الماء من الأرض.. يديرها ساعتين
فى اليوم، ويبيع ماءها للأهالى، ولحديقة الدير، وبعض حدائق
متفرقة.. وذهبنا إلى الشيخ موسى.. إنه يقيم فى حديقة
واسعة مسورة، تضم بيته وبيوت أولاده.. وعلى جانب من
الحديقة دكان صغير علقت عليه لافتة كتب عليها «شركة وادى
فيران للتجارة.. لصاحبها عبدالرحمن موسى وإخوته»..
والدكان لا يحوى سوى مواد الترموين، وبعض المعدات المنزلية
الصغيرة.. ورأينا ماكينة الماء.. إن الماء قريب.. ستة أمتار
وتصل إليه.. والشيخ موسى هو سيد وادى فيران لأنه يملك
هذه الماكينة.. ويملك شركة وادى فيران للتجارة!!

لماذا لا تذهب إلى سيناء عشرات الماكينات، لتصنع فى
سيناء عشرات من الأسياد.. إن الماء ليس قريباً فى واحة فيران
وحدها، إنه قريب فى كثير من أنحاء شبه الجزيرة.. وقد
أجريت هناك أبحاث اتضح منها أن أرض سيناء صالحة

للزراعة.. صالحة للحياة.. والمسئولية ليست مسئولية الحكومة.. إن أى جماعة من خريجي كلية الزراعة، يستطيعون أن يحملوا آلة مياه ويذهبوا إلى هناك ويصبحوا أسيادا.. وربما كان كل واجب الحكومة أن تسهل لهم مهمتهم.. أن تخفف من الإجراءات الكثيرة المعقدة التى تفرضها للانتقال إلى سيناء والإقامة فيها.

وقد سمعت حكاية عن الإجراءات الحكومية.. حكاية رجل يدعى سالم النيل حفر بئرا فى الصحراء قريبا من أبى زنيمة وأقام حول البئر حديقة كبيرة.. حديقة فاخرة ونخيل.. وكانت نسبة الملوحة فى ماء البئر كبيرة، ورغم ذلك استطاع أن ينبت الأرض، وبعد ثلاث سنوات جاء مندوبو الضرائب، وقدروا أرباح الرجل بأربعة آلاف جنيه.. طالبوه بها.. فترك لهم الرجل الحديقة بما فيها وانصرف ! ومثل هذه الإجراءات لا يمكن أن تشجع على تعمير سيناء. وخرجنا من واحة فيران.. إلى وادى طرفة.

«والطرفة» هو اسم شجر يملأ الوادى.. وينبتق على فروعه مادة صمغية حارة.. هى «المن» التى جاء ذكرها فى الكتب المقدسة.. المن، والسلوى.. والتى يقال إن قوم موسى كانوا يعيشون عليها عندما تاهوا فى الصحراء.. ويجمع العربان أو البدو هذه المادة الصمغية، فى علب من الصفيح، ويتركونها فى الشمس حتى تسيح، ثم يبيعونها للسواح الذين يأكلونها تبركا. لقد رأيت المن ولم أكله.. وبقي أن أرى السلوى، لعلنى أكلها! والطريق ممهد بعض الشيء.. والذى مهده هو سيسيل دى ميل المخرج السينمائى، عندما كان يخرج فيلم «الوصايا العشر» وكلفه تمهيده عشرين ألف جنيه!!

ووصلنا إلى وادى البويب.. والجبال تضيق حولنا، وتفتح
لنا باباً ضخماً نخرج منه إلى الوادى الفسيح.. وعلى جنبات
الوادى حدائق صغيرة.. كل حديقة لا تزيد على نخلة
وشجرتين.. وفوق تل صغير قبر مطلى بالجير الأبيض.. إنه
قبر النبی صالح.. هل سمعت عن النبی صالح ؟ ولا أنا.. وهو
على كل حال نبي مشكوك فى نبوته.. ويقال إنه مجرد الجد
الأول لإحدى قبائل البدو التى تقيم فى المنطقة.. وكل رجل
مبارك فى سيناء لا يسمى «شيخاً» ولكن نبياً.. وبجانب القبر
مظلة يجتمع تحتها الأهالى فى موسم زيارة النبی صالح،
وينحرون الذبائح.

وبعد قليل.. قبر آخر.. إنه قبر هارون، أخو النبی موسى،
وترجمانه إلى قومه.

ثم يدور الجبل مرة واحدة.. ونفاجأ برؤية الدير فى
أحضان جبلين من الصخر.
لقد وصلنا..

وصلنا بعد خمس ساعات قضيناها نصعد الجبل.
وارتجف قلبى من الرهبة.. إنى مقدم على التجربة الكبرى..
تجربة مواجهة نفسى، لأبحث فيها عن الله.

والسيارة تصعد، وتئن، كأنها تزفر آخر أنفاسها.
والدير يبدو كقلعة حربية من قلاع القرون الوسطى..
والمكان الذى أقيم فيه يبدو كأن قائداً حربياً، هو الذى اختاره،
وليس رجل دين.. والروعة التى تحيط به، هى روعة التاريخ،
وليست روعة التبتل فى حب الله !

وكنت أعتقد إنى سأدخل الدير فى قفص معلق فى جبل
يشده الرهبان من أعلى.. كما قرأت فى الكتب.. ولكنى دخلت

من باب واسع، وكثير من الأولاد يتزاحمون حول السيارة ليحملوا حقائبنا.. كأننا وصلنا إلى فندق هيلتون!
ودخلت وأنا احتفظ برجفة قلبي.. إني أريد أن يظل قلبي مرتجفا، لعل رجفته تساعدني على الارتقاء إلى الحب الكبير..
وانحنيت لأمر من باب منخفض عتيق من الحديد السميك..
كأنى أدخل إلى إحدى مقابر الفراعنة.. ثم واجهت فناء الدير..
وواجهتني لافتات مكتوبة بالانجليزية.. اتجه إلى اليمين..
المكتبة.. إلى الكنيسة.. و.. و.. إن هذه اللافتات تعيدني إلى الحياة.. لا أظن أن في السماء لافتات مكتوبة بالانجليزية!!
واستقبلنا راهب نشط.. أنفه أحمر.. وعيناه مغضنتان
تطلان من تحت نظارة سمكة، وينطلق من بين تجاعيدها بريق نشط.. غاية النشاط.. وجبين عال يشع بالذكاء.. ذكاء لا يريح..
ذكاء يكاد يثقب رأسك ليصل إلى أفكارك.. وقامة قصيرة، تتحرك بسرعة.. سرعة الأرنب أو سرعة الغزال.. أو سرعة الثعلب!

إنه ليس راهبا..

إنه أبونا نيكوفورس.

مدير إدارة الدير.. وأشهر رجل في شبه جزيرة سيناء..
وقد كان نيكوفورس صاحب ورشة ميكانيكية وكهربائية،
ثم دخل الدير.

لماذا يا أبونا ؟

حبا في الله.

ثم يميل على أذني ويهمس : بيني وبينك المطران أكل مخي!
وكنت أعتقد أن أبونا قد خصني بهذه الهمسة، ولكني
اكتشفت أنه يهمس بها في أذن كل من يزور الدير.. بل إني

قرأت هذه الهمسة فى كتاب عن الدير أصدره زائر قبلى.
وإذا كان المطران قد أكل مخ نيكوفورس.. فقد أكل
نيكوفورس الدير.. استطاع أن يسيطر عليه.. وأن يملأ عليه
ذكاءه.. وأداره بطريقة حديثة، وخصص معظم أجنحته لإقامة
السياح.. وأقام فيه محطة لتوليد الكهرباء.. ولا تستطيع إلا أن
تبدى إعجابك بأبونا وحسن إدارته.. ولكن.. لقد بدد أبونا
الطابع الدينى للدير بهذه المستحدثات.. إنك لا تستطيع أن
تتوجه إلى الله وصوت محطة توليد الكهرباء يطن فى أذنك..
إنك هنا تشعر بقدرة نيكوفورس أكثر مما تشعر بقدرة الله!
وأين الرهبان؟

إنهم هناك فى الجناح الآخر.. ولا يقيمون فى صوامع،
ولكن فى حجرات تضاء بالكهرباء.. وهم أربعة عشر راهبا..
فقط.. ربما كانوا موظفين فى الكنيسة أكثر مما هم رهبان..
فهم يتقاضون مرتبات.. أربعة جنيهاً فى الشهر.. وينتقلون
بين الأديرة المختلفة، بأمر الكنيسة تماماً كما ينتقل الموظف من
مكان إلى مكان بأمر حكومته..
لا..

لقد انقضى عهد الرهبان الذين كنا نقرأ سيرهم.
ربما لم يعد الإنسان فى حاجة إلى الرهبنة والتجرد.. ربما
اقتنع الإنسان بأن الله قد وهب العقل والإرادة ليعيش بهما،
وليس من حقه أن يتنازل عن عقله وإرادته، ليختبئ من الحياة.
خلف جدران دير.. بل ربما كان الدافع الذى أتى بالرهبان إلى
هنا.. إلى هذا المكانى النائى.. قد انعدم.. فقد جاءوا منذ ألف
وستمئة عام هرباً من الاضطهاد الذى كان يصبه عليهم أعداء
المسيحية.. ولم يعد أحد يضطهد المسيحية الآن، فما حاجتهم
إلى الدير !!

وقادنا أبونا نيكوفورس إلى الحجرات التى خصصها لنا..
حجرات فندق كامل.. وكل ما يميز الدير عن الفندق، أنك يجب
أن تحمل طعامك معك.. وفى وسط الحجرات مطبخ وطباخ
يظهر لك الطعام الذى تحمله، ويصنع لك القهوة والشاى.

البيت ١٠٠ قرش !

الصعود إلى جبل موسى على جبل ١٠٠ قرش!

الصعود إلى جبل سانت كاترين على جبل ١٥٠ قرشا!

الراهب الذى يصحبك فى الصعود أجره ١٠٠ قرش!

وتعليمات أخرى..

نفس القائمة التى تجدها معلقة على باب حجرتك عندما

تقيم فى فندق شيرد!

واستأذن أبونا نيكوفورس ريثما يصاحب فريقا آخر من
السواح.. ووقفت فى نافذة حجرتى أطل على الجبال الضخمة
التي تحيط بى.. إنى أحاول أن أسكت عقلى.

لا أريد أن أفكر.. ولا أريد أن أنتقد.. اسكت يا عقل.. إنى
أريد أن أكون عاطفة خالصة أرتفع بها عن الدنيا وأصل بها
إلى الله.. إن الارتفاع بالعاطفة أسهل من الارتفاع بالعقل..
ولكن.. كلما نام عقلى أيقظه صوت وابور الجاز المنبعث من
المطبخ.. لن ينام عقلى إلا إذا سكت وابور الجاز.. ووابور الجاز
لا يسكت!!

ونزلنا نطوف بالدير يصحبنا أبونا نيكوفورس.. نطوف
بالأقبية القديمة.. والممرات المنخفضة.. ثم دخلنا حجرة واسعة
رصت فيها جماجم.. وعظام أذرع وسيقان.. وأذهلتنى الدهشة
والرهبة.. ولكن الدهشة والرهبة ما لبثتا أن زالتا.

كما لو كنت أنظر إلى كوم من البطيخ فى دكان فكهانى!!

إن البساطة التى رصت بها هذه الجماجم والعظام تنسيك
رهبة الموت!

وهى جماجم وعظام الرهبان الذين ماتوا فى الدير.. وقد
جمعت بهذا الشكل، لأن أرض الدير صخرية، ويستحيل أن
يحقر فيها كثير من المقابر.. فاكتفوا بقبرين اثنين يدفنون فيهما
من يموت، ويظل فى القبر ثلاث أو أربع سنوات، إلى أن يتحلل
ويصبح عظاما، فينقلوا العظام إلى الحجرة ويخلو القبر لقادم
آخر!!

ودخلنا الكنيسة.

رائعة.. رائعة.. إنه شىء لا يصدق!

والروعة هى روعة الفن.

والفن عبادة.

إن الفنان الذى قضى من عمره سنوات وسنوات يصنع هذه
الأيقونة.. أو هذه اللوحة.. لابد أنه كان يتعبد إلى الله.. إن صدق
الفنان وجهده هو عبادته.. وربما لن أصل إلى الله.. إذا كنت
فنانا.. إلا عن طريق قلمى.. إلا عن طريق كلمة صادقة، أو قصة
صادقة أكتبها.. ربما كان هذا هو طريقى الوحيد إليه!

وفى الكنيسة كثير من الذهب، والفضة والجواهر.. كأنك فى
مقبرة توت عنخ آمون.. شىء لا يقدر بالملايين قدمه الأباطرة
والأغنياء على مر السنين..

إن الأغنياء يتعبدون إلى الله بأموالهم.. والفنانون يتعبدون
بفهمهم.. والفقراء؟! إنهم لا يملكون إلا قلوبهم!

وكنيسة أخرى.. كنيسة العليقة.. والعليقة هى الشجرة التى
أضاءها الله أمام موسى وخاطبه من ورائها وقد أقيمت الكنيسة
فى مكانها..

ووقف أبونا يطلب منا بلغته العربية المكسرة، أن نخلع أحذيتنا.. ويشرح لنا لماذا :

- ربنا كلمتو موسى.. يا موسى شيل المتوفلى.. هنا مكدس! (أى مقدس).

وأبونا يقص الآية التى وردت فى الإنجيل :

«يا موسى اخلع حذاءك من رجلك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة».. والآية التى وردت فى القرآن ﴿فلما آتاها نودى يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾.

والكنيسة صغيرة.. مريحة.. وكادت الراحة تزحف على أعصابى، لولا أن بهرنى الفن.. الفن المرسوم على الجدران، والمدلى فى الايقونات.. إن الفن يلهيك عن الله، بقدر ما يذكرك به.

وعندما أطل من نافذة أخرى على الجبال التى تحيط بى.. ماهذا؟ إن فى وسط الجبل الصخرى تنبتق شجرة صنوبر ضخمة.. ماذا أتى بهذه الشجرة إلى هنا. من أنبتها؟! لقد زرعها الرهبان منذ خمسمائة سنة.. وفوق كل قمة من قمم الجبال. صليب ضخم منصوب أقامه الرهبان منذ خمسمائة سنة.. إن قوة الإيمان كانت - زمان - تزرع الشجر وسط الصخر.. وتنصب الصليبان فوق القمم. وكل شىء فى الدير صنع منذ خمسمائة سنة.. أو منذ ألف سنة أو منذ ألف وستمائة سنة.. أيام الإيمان بالله.. أيام كانت العقول لا تشغلها المذاهب الاجتماعية والسياسية.. فقط الإيمان بالله.. ولا شىء صنع حديثا فى الدير إلا المولد الكهربائى الذى استورده أبونا نيكوفورس.. وصعدت إلى الشجرة.. وبجانبها صخرة تنز

قطرات من الماء.. قطرات صغيرة كالدموع.. إن هذه الصخرة تبكى طوال العام.. لماذا تبكى.. ومن أبكاها.. ومن أين جاءت هذه الدموع.. قد يكون فى علم الجيولوجيا تفسير لكل ذلك.. ولكنى لا أريد أن أسمع تفسيراً علمياً.. أريد فقط أن أملأ قلبى بالإيمان.. الإيمان بقدرة الله!

ومكتبة الدير.. إن كل كتاب فيها يعتبر تحفة أثرية تساوى كنزاً.. وفيها الرسالة التى أرسلها النبى محمد إلى رهبان الدير يؤمنهم فيها على حياتهم وأموالهم.. وشهد على هذه الرسالة أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب.. وكثير من الصحابة.. وقد استولى السلطان التركى على أصل الرسالة وترك صورة منها للرهبان.

وجلسنا فى المساء يحدثنا أبونا نيكوفورس عن أيام الاعتداء.. لقد جاء موسى ديان إلى الدير، واتخذ منه ثكنة للبوليس الحربى.. واستقبله الرهبان برؤوس مرفوعة.. إنهم فى حماية الله.. فى حماية الكنيسة.. لن يستطيع أحد أن يمسهم.. ورغم ذلك فقد فتش اليهود الدير بحثاً عن الجنود والضباط المصريين.. فتشوا فى كل مكان.. ونسوا أن يفتشوا مكان الطاحونة المهجورة.. وفى الطاحونة المهجورة كان يقبع أحد عشر جندياً مصرياً وضابطان، منسحبين من الطور.. وجاء الليل.. والبوليس الحربى الإسرائيلى يحرس أبواب الدير.. وفتح أبونا نيكوفورس باباً سرياً قديماً تسلل منه الجنود المصريون، وصحبهم بدوى فى طريق مجهول.. إن الجبال التى تبدو أمامك كأنها حائط مسدود، لها أبواب وممرات يعرفها البدو.. وقد صحبوا جنودنا فيها حتى أوصلوهم إلى مواقعهم.

وقصة أخرى.

جاء أحد البدو إلى أبونا نيكوفورس وأبلغه أن جنود إسرائيل سرقوا إحدى عنزاته.. كان يرعاها عندما وقفت بجانبه سيارة إسرائيلية، ونزل منها بعض الجنود الأبطال، وخطفوا عنزة!

وذهب أبونا إلى القائد الإسرائيلي.. إن كل هؤلاء البدو في حماية الدير، وهو يطالب برد العنزة إلى صاحبها.

وقال القائد الإسرائيلي إنه سيحقق، وإذا اتضح من التحقيق أن القصة كاذبة، فإنه سيعتقل الرجل الذي أبلغ عن السرقة، وسيأمر بإعدامه قدوة لبقية الأهالي وفي نفس الوقت سيعتقل أبونا نيكوفورس حتى لا يعود إلى تشجيع البدو على تحدي جنود الاحتلال .

ووافق أبونا.

وذهب مع القائد إلى موقع الجنود، وبدأ القائد التحقيق.. وأنكر الجنود.. ولا شيء يثبت عليهم التهمة.. وارتفعت ابتسامة الشماتة على وجه القائد.. وأحنى أبونا رأسه قليلا ثم قام ولف حول المواقع وعاد يحمل عظام العنزة، التي تخلقت بعد أكل لحمها، وألقاها أمام القائد.. قائلا : الذي أعلمه أن ليس في تموين القوات الإسرائيلية لحم المعيز!

واختفت شماتة القائد الإسرائيلي، وأحنى رأسه.

وجاء الليل وأبونا يحدثنا.

والقمر..

والهدوء.. الهدوء يارب.. هدوء النفس.. ولكن في الغرفة المجاورة.. فريق من السواح يسكرون، ويقهقهون.. ويطلقون نكات خارجة.. وأبونا ساكت.. إنه يؤمن بأن قليلا من الخمر

يصلح المعدة.. و«القليل» مسألة نسبية يختلف فيها الأفراد!
أين المفر؟
أين المفر إلى الله.
لعل أجد المفر هناك.. فوق قمة جبل موسى.. بعد أن أصعد
ألف قدم!
واتفقت مع أبونا على أن يعد لنا الجمال لنصعد بها فى
صباح اليوم التالى.
وأيقظنى «ميخا» فى الساعة الخامسة.. و«ميخا» بدوى
يعمل فى الدير.. ويأخذ نظير عمله كمية من الحبوب ومن
الزيت.. واسمه «صالح» ولكن الرهبان ينادونه.. ميخا!
لماذا.. لا أدرى!
ووجدنا فى انتظارنا راهبا شابا، يعلق على كتفه حقيبة
صغيرة.
أين الجمال؟
ولم يرد الراهب الشاب.. إنما سار أمامنا وسرنا وراءه..
وبدأنا نصعد الجبل.. وكنت أصعد فى خطوات نشطة..
وابتسامة فوق شفتى.. وقلبى ممتلىء بالبشر.. إننى صاعد إلى
القمة التى صعد إليها النبى موسى، ليخاطب ربه، ويتلقى
وصاياه.
وفتح الراهب حقيبته وناول كلا منا قطعة من الحلوى..
وازدت بشرا.. لا بد أن الراهب حسب حساب كل شىء فى
رحلة الصعود.
ومضت نصف ساعة ونحن نصعد.
والراهب أمامنا يسير فى خطوات سريعة، ويقفز كالعنزة
وبدا صدرى يتهدج.

سأستريح.
 لا.. لأستمر.
 ومألت قلبي بذكر الله.. وصعدت.
 وصدرى يزداد تهدجا.. إني ألهث.. أنفاسى تتمزق.
 وجلست على صخرة، وأنا أهمس
 - عطشان يا أبونا!!
 وفتح الراهب حقيبتيه وأخرج زجاجة ماء فى حجم بزازة
 الطفل.. إنها كل ما يحمله من الماء.. ونحن خمسة رجال.
 وأخذ كل منا قطرة بلل بها شفتيه.
 وعدت أذكر الله.. وشددت قامتى.. وعدت أرفع فى خطوات
 قوية.. إنى أريد أن أقابل الله قويا.
 والوادي يبتعد من تحت أقدامنا.
 والقمة لا تزال بعيدة.. بعيدة.
 وأنا لا أزال أرفع.
 وبدأت أضعف.. بدأت أخاطب الله فى توسل.. وضعف..
 يارب أعنى.
 وألهث.. ألم فى رثتى.. لا.. إنى لن أستطيع أن أستم.
 وسقطت على الأرض.. ثم جلست.. ولكنى رقدت.. وصدرى
 كالمنفاخ المثقوب.. وأنفاسى كالفحيح.
 وتوقف الركب.
 والراهب متعجل.. إنه لا يتعب.. إنه حتى لا يعرق.
 وقمت من رقدتى.. وركبتاى ترتعشان.. وألم.. ألم يحرق
 أعصابى.. وشفقتاى جافتان.
 عطشان يا أبونا.
 ودارت علينا البزازة.

ورقدت مرة ثانية على الأرض.. وأبونا يتعجلنى.. ثم قمت..
وبدا الألم يدفعنى إلى الندم.. الندم على هذه الرحلة.. ورغبتى
فى الوصول إلى الله تضعف . إن الله فى الموائد كما هو فى
القمة.. فلماذا أتعب نفسى كل هذا التعب.

عطشان يا أبونا.

آسف.. لم يعد معى ماء.

ونكست عينى فى يأس.

ومضت ساعتان ونحن نصعد.. أرقد وأقوم.. وشفقتى بدأت
تتورمان من العطش.. وأحسست كأنى أعاتب الله لأنه يكلفنى
كل هذه المشقة.

ووصلنا إلى مكان من الجبل تبدأ عنده القمة الصخرية.

إننا نصعد على سلالم نحتها الرهبان فى الصخر.. منذ
خمسائة سنة.. وكل سلمة فى ارتفاع حجر من أحجار الهرم.
كم سلمة يا أبونا.

٧٥٠ سلمة.

تصور أنك ستصعد على قدميك ٧٥٠ سلمة من سلالم
عمارة.. لا سلالم كل منها فى ارتفاع حجارة الهرم.
وفكرت فى العودة.

إنى لن أستطيع.

ولكن.. لا.. لن أعود.. حتى لا يشمت فى أبونا!

وبدأت أصعد.. ربما صعدت عشرين سلمة، ثم ألقيت نفسى
راقدا على الصخر.. رثتأى.. صدرى.. إنى أحس بدمى يكاد
ينبثق من أنفى.

وأغمضت عينى.. ثم فتحتهما فجأة وأنا أشعر بشعور
جارف من التحدى .. تحدى الجبل .. تحدى هذه السلالم ..

لم أعد أفكر فى الله.. ولم أعد أحس به.. كل ما أحس به هو
التحدى.. معركة.. معركة بين الإنسان والجبل.
وبدأت أصعد.. أحيانا كنت أصعد على قدمى ويدي.. وقلبي
يتمزق.. وأنفاسى تفح كالمنفاخ المثقوب.. ثم أقوم وشعور
التحدى يملؤنى.. يجب أن أصل.. يجب أن أصل.. ووصلت.
وفوق القمة كنيسة.. على بابها جرس كبير يتدلى منه
حبل.. وأمسكت بالحبل وقرعت الجرس.
قرعته مرة وأنا أهتف باسم ابنى محمد.
وقرعته مرة ثانية وأنا أهتف باسم ابنى أحمد.
وقرعته مرة ثالثة وأنا أهتف باسم زوجتى.
لا أدري لماذا.. ربما كنت أريد أن أعلن لهم انتصارى على
الجبل.. وربما خيل لى أنى أقرع لهم جرس السماء لعلها تفتح
لهم أبواب السعادة.
ووقعت على الأرض مغشيا على.. تقريبا!
عطشان يا أبونا.
لا ليس هنا ماء.. إن الذين بنوا الكنيسة ليذكروا الله، نسوا
الإنسان فلم يصنعوا له الماء.
وشفتائى تزدادان تورما.
وأبونا يتعجلنى لنعود إلى الدير.. وصرخت فيه، وقد نسيت
كل شئ إلا إرهابى.
- لا يا خواجه.. دعنى أسترح.
واسترحت.. ربع ساعة فقط.. كل ما سمح لى به أبونا من
راحة.. وقمت ودخلت الكنيسة وأوقدت فيه الشموع.. وبجانب
الكنيسة جامع مهجور مهدم.. قرأنا فيه الفاتحة!
وأنفاسى الممزقة تبعدنى عن الله.

وعدنا ننزل.

نزلنا الـ ٧٥٠ سلمة.. ثم اتجهنا إلى طريق آخر من الجبل..
طريق ينزل رأسيا فوق الصخر.. وكله سلالم.. كم سلمة
يا أبونا.

٣٨٠٠ سلمة..

تصور أنك تنزل ثلاثة آلاف وثمانمائة سلمة على قدميك..
وكل سلمة فى ارتفاع أحجار الهرم.
لا مفر.. يجب أن ننزل.

وأحسست بحالة عصبية تنتاب ركبتى... إنى لا أستطيع أن
أقف عليها.. ولكنى أندفع نازلا.. وأبونا يسبقنا ويقفز فوق
السلالم فى مرح.. إنهم يسمونه فى الدير.. فأر الجبل!
والعطش..

هل جريت العطش!!

إنك تحس بشفتيك تتورمان، حتى كأن كل وجهك أصبح
شفتين. وسيخ من النار يمتد فى حلقك ويمتد حتى صبرك..
ومعدتك تنقبض كأنها تذبل.

إنه عذاب.. عذاب.

والسلالم تلف حول الصخور.. ثم تصل فجأة إلى فناء
واسع فى وسطه شجرة صنوبر ضخمة.
وكهف.. وبئر.

ماء..

وأزحف على يديّ وقدميّ نحو البئر.. إن فيه ماء..
وألقيت حجرا لأتأكد أن فيه ماء.. ماء بعيد.. ولكن ليس
هناك حبل ولا وعاء أدليه فى البئر لأشد الماء.
لا رحمة لى من العطش.

والكهف كان صومعة راهب.
وعندما نزل.. ونمر على صوامع الرهبان المقامة بين
الصخور.. رهبان زمان.. أيام الإيمان.. ولم يكن هؤلاء الرهبان
يكتفون بالإقامة فى الدير، بل كانوا يصعدون إلى الجبل
ويقيمون فيه.. إمعانا فى العزلة.. وفى التقشف.. وفى التجرد
من الحياة.. والاقتراب من الله.
ولكنى لا أحس بالله.
إنى أحس بالتعب.
إنى أقول يارب.. ولكنى لا أحس بنداى يتجاوب فى
صدرى.. إنى لست مخلصا فى ذكر الله.. لست متجردا له.. إن
كل ما أريده هو شربة ماء.. ومكان أنام فيه.
ووصلنا..
إلى الدير..
وسقطت على الباب.. لم أستطع الوصول إلى حجرتى..
وجاءوا لى بماء.. وشربت.. شربت كثيرا.. ثم شربت أكثر..
وقمت يساندنى أبونا حتى وصلت إلى حجرتى..
ونمت..
لقد صعدت إلى القمة.. نعم صعدت.. ولكنى لم ألتق بالله..
إنما التقيت بالتعب والعذاب..
وهذا الصعود والهبوط يقطعه الرجل العادى عادة فى نهار
كامل.. فى تسع ساعات.. ولكن أبونا.. فأر الجبل.. جعلنا
نقطعه فى خمس ساعات..
سامحه الله..
وقمت من النوم كأنى أقوم من مرض..
ضعيفا.. مسترخيا..

وأحسست في ضعفى .. بهدوء النفس.. بالسكينة..
باقترابى من الله.. إن الإنسان لا يقترب من الله إلا إذا أحس
بضعفه !



وكتبت فى دفتر زيارات الدير :
«جئت أبحث عن نفسى»!
هل وجدتها؟
لا...

ما هى المرأة ؟ من هو الرجل

الذى تعجب به المرأة الحديثة؟

مصطفى محمود يقول إن المرأة لا تعجب إلا بالرجل الشرير.. الرجل الذى يستطيع أن يبرر لها الخطيئة.. ويطلق الحب إلى آخر حدود الانحلال.. ويمنحها مع ساعة سعادة عشر ساعات من الألم الرجل الذى يشعرها فى كل دقيقة أنه سيتخلى عنها.. وكل ما تشترطه المرأة فى هذا الرجل الشرير هو أن يكون خفيف الدم.

ويدلل مصطفى على صدق رأيه بأن المثل الأعلى للرجل أمام المرأة الحديثة هو جيمس دين وكل أدوار جيمس دين السينمائية تمثل رجلا شريرا.

أما أنا فكان من رأى أن المرأة الحديثة والمرأة القديمة على السواء تعجب بالرجل القوى والقوة ليست قوة الشر إن الشر شذوذ وليس قوة كما أن القوة ليست قوة عضلات فالعضلات تمثل فى الرجل جانب الحيوان.. إنما القوة هى قوة الشخصية

وقوة الخلق.. وجميع الرجال الذين تهاقت عليهم النساء على
مر التاريخ كانوا على خلق دون جوان.. وكازانوف.. وروميو..
و.. و.. كلهم يمثلون قوة الشخصية وقوة الخلق..

إن نظرة المرأة للرجل لا تختلف عن نظرة الرجل للمرأة
والرجل قد تثيره المرأة الشريرة ولكن المرأة الفاضلة تثيره أكثر
فيتمناها ويشتهيها ويطرق كل الطرق إليها إلى أن يجد طريق
الزواج.. إن الفضيلة أكثر إغراء من الشر سواء في الرجل أو
المرأة.. إن الفضيلة شيء صعب.. شيء نادر.. ومن هنا تستمد
إغراءها.

ومن هنا تتهاقت المرأة على الرجل الفاضل أكثر من تهاقتها
على الرجل الشرير والرجل الشرير قد ينجح مع امرأة أو
اثنتين ولكنه لا يستطيع أبدا أن يصل إلى درجة تهاقت النساء
عليه.

وقاطعنى مصطفى محمود : وجيمس دين يا أبو الحسن.
قلت : إن جيمس دين لا يمثل أدوار الشر.. إنه يمثل
دورالشاب الذى يعانى من عقدة نفسية : غلبه على أمره.. شاب
مريض يثير عطف البنات، ويثير فيهن غريزة الأمومة فيتعلقن
به.

وعاد مصطفى محمود يسألنى : وكيف تحدد الرجل
الفاضل !

قلت : إنى أكتفى بالمبادئ العامة للأخلاق.. الشهامة
والصدق والأمانة ومواجهة المسئولية.. إلخ.. ولا تهمنى المظاهر
فإنى أعرف رجالا مظهرهم فاضل وأخلاقهم زفت، وأعرف

رجالاً مظهرهم زفت وأخلاقهم فاضلة.
وقال مصطفى محمود : إن أكثر الرجال نجاحاً مع النساء
فى نظرى هو محمد عبدالوهاب.. وعبدالوهاب لا يمثل القضية
كما تعنيها أنه لا يمثل إلا نفسه .. إن مبادئه وأخلاقه هى
نفسه.. إنه أشد الرجال أنانية.
قلت : إن النساء لا يتهافتن على عبدالوهاب ولكنهن يتهافتن
على فن عبدالوهاب وعدد الرجال الذين يتهافتون على فن
عبدالوهاب لا يقل عن عدد النساء.. إن عبدالوهاب موضوع
آخر.
واستمرت المناقشة بين مصطفى محمود وبينى من
الاسكندرية حتى القاهرة..
ولم يقتنع مصطفى برأى ولم أقنع برأيه.. احكموا بيننا.

صورة فى الصيف

ليلة من لىالى الصيف.. والهواء راكد ثقيل
وعرق لزج كقطرات الصمغ وأجساد مرتخية
مفككة وقطع من قشر البطيخ متناثرة على
الأرض وبائع الترمس واقف بعربته بعيدا وقد
كف عن النداء وأسدل جفنيه على عينيه.. وكانوا جلوسا فى
استرخاء على مقعد حجرى فى شارع الكورنيش، والنيل تحت
أقدامهم وقد فتحوا قمصانهم عن صدورهم وشمروا أكمامهم
وشبابهم يتنفس فى ضيق فوق وجوههم.

وقال رضوان :

- كان لازم الحكومة تصرف للموظفين فى الصيف علاوة
بطيخ.. ده أنا ماهيتى كلها راحت على البطيخ.

وقال محمد :

- نفسى أروح اسكندرية.. يا سلام على اسكندرية فى
اليومين اللى نى دول..

وقال منصور :

- تيجو ننتحر.

وقال ممدوح :

- أنا نفسى ألاقى بنت تحبنى وأحبها.. بنت مالهاش أب ولا أم، وتتمشى معايا على الكورنيش لغاية الصبح.

وقال رضوان :

- الماهية بتخلص يوم عشرة فى الشهر.. حق الحكومة تقبضنا يوم بيوم علشان الماهية ما تخلصش.

وقال منصور :

- تيجو ننتحر !

وقال محمد :

- لازم الشعب يصيف فى اسكندرية على حساب الدولة.

وقال ممدوح :

- الواحد لو حب بنت تقوله اتجوزنى.. ولو حب يتجوزها تقول فين المهر.. يدور على المهر مايلاقيش.. يبقى لا عمرنا حانحب، ولا نتجوز.

وقال منصور :

تيجو ننتحر!!

وسكت الأربعة برهة ثم قال رضوان فجأة : وننتحر إزاي ؟

وقال محمد :

- أنا ما انتحersh إلا فى البحر الأبيض المتوسط !

وقال ممدوح :

- ما هو الانتحار كمان لازم له فلوس !

وقال منصور :

- ولا فلوس ولا حاجة.. الانتحار أرخص من البطيخ
وأرخص من الترمس.
وسكت الأربعة.

ونظروا فى مياه النيل طويلا وهم صامتون.. ثم قاموا
يجرون أجسادهم المرتخية المفككة.. والهواء راكد ثقيل.. وعرق
لزوج كقطرات الصمغ وقشر البطيخ وبائع الترمس وقد فتحوا
قمصانهم عن صدورهم.. وشبايهم يتنفس فى ضيق فوق
وجوههم!

حكايات نوح الطير

حاولت أن أكون طبيبا نفسيا.. فقد جاءتنى
فتاة تشكو من ارتباك حياتها.. حياتها فى البيت..
وحياتها فى العمل وحياتها مع الرجل الذى تحبه
وتركتها تتكلم.. تكلمت كثيرا وفى أدق شئونها.. □
وقالت ضمن حديثها إنها تحب أكل الحصرم وأكل ثمار المانجو
الخضراء قبل نضوجها.. وقاطعتها :
- ألا تشعرين بلذعة الحصرم وأنت تاكلينه؟
قالت وهى تطوف بلسانها فوق شفيتها كأنها تشتت فدانها
من الحصرم :
- أحس بها.. إن جسدى كله يتقلص عندما أضع حبات
الحصرم فوق لسانى وامضغه بأسنانى.
ولكنى أستعذب هذا التقلص.. وأتمادى فيه.. وكدت أقول لها
إنها مريضة «بالماشوسيزم» أى مرض تعذيب النفس ما دامت
تستعذب أكل الحصرم.. ولكنى خفت أن أربك حياتها أكثر بهذا

التحليل فبدأت أبحث عن تحليل آخر لحبها للحصرم والمائجو
الفجة.. وقلت لها :

- ما ينقصك هو أن تصبرى على الحصرم حتى يصبح
عنبا وأن تصبرى على المائجو حتى تنضج ولو صبرت على كل
ما يقع لك لاستطعت أن تجدى حلا لجميع مشاكلك.
قالت وهى تنصرف :

- صبر إيه يا أستاذ.. ما أنا صابرة أهو وما فيش حاجة
بتتحل.. ده بختى يا أستاذ.. بختى المقندل!

لقاء فنون الجبل

فى مقهى أبو زياد فوق قمة الجبل .. والنبع
الصافى يجرى تحت أقدامنا ويعزف لنا لحن
الخلود.. وشجرة الصنوبر تقف بجانبنا وتمد
ذراعيها فوق رؤوسنا كالأم الحازمة. □

ورأيتهما من بعيد.. فتاة لعلها فى الرابعة عشرة.. ممشوقة
كفصن الورد.. شقراء فى لون النور وكان حولها أطفال
كثيرون.. لا يمكن أن يكونوا جميعا أخوتها.. وكانت تلاعبهم
وتضاحكهم ثم أجلستهم حول المائدة ودارت فوق رؤوسهم
تطعم هذا وتنهر ذاك وتميل فتقبل تلك.

وأخذت أرقب هذه الأمومة المبكرة كانت تضىف حولها جوا
صافيا من الحنان والطيبة كأنها طفلة تلهو بعرائسها.
ثم شغلت عنها بالجبل والنبع وأشجار الصنوبر.. وفجأة
أحسست بظل رقيق يلف حولى ورفعت رأسى فوجدتها
أمامى.. لم تكن تبتسم.. كانت ترتعش كأنها غاضبة.. وقالت

وكلماتها لا تستقر فوق شفيتها :

- هل أنت الذى تكتب ؟

قلت وأنا أضم الطهر والنقاء إلى عيني :

- نعم ..

قالت منطلقة فى صوت صراخ المكتوم وكأنها تحاسبني :

- خبرني .. هل بطلات قصصك بنات حقيقيات .. بنات فى

الدنيا ؟

قلت :

- نعم ..

قلتها فى بساطة دون تعمد فأنا لا أحاول أن أجيب على

السؤال جادا .. أحيانا أقول نعم وأحيانا أقول لا ..

ولكنها لم تأخذها فى بساطة .. غضبت وارتفعت الدماء

النقية إلى وجنتيها كراية الثورة ..

وقالت : لا .. ليس فى الدنيا بنات كبنات قصصك.

قلت :

- صدقيني ..

قالت فى حدة :

- أنا لا أريد أن أكون مثلهن.

قلت :

- يا ابنتي .. إنى أعرضهن عليك حتى لا تكونى مثلهن.

قالت وهى تدق الأرض بقدمها الصغير :

- لست ابنتك .. إنى أكبر مما تعتقد .. إنى فى الخامسة

عشرة وبعد شهور سأكون فى السادسة عشرة.

قلت مبتسما :

- حذار.. إنك تتكلمين كبطلات قصصی.

وسكنت برهة وهی تنظر إلى بعینین ثابتتین كأنها لا تدری
ماذا تقول أو ماذا تصنع بی.

ثم أدارت ظهرها وهی تقول :

بخاطرك یا أستاذ.

وراقبتها من بعيد.

لم تعد تلعب مع الأطفال.. كانت تفکر.



أوراق ضائعة

قالت له :

- لقد فقدت ثقتي فيك.. حاول أن تستعيدها .

قال :

- إنك عندما تفقدين ثقتك فكأنك فقدتني



فحاولي أنت أن تسترديني.

قالت :

- حاول أنت أن تعود.

قال :

- أنا لم أذهب .. أنا لا زلت بجانبك أنت الذي ذهبت عني..
ولو حاولت أن أستعيذك فلن أستطيع.. ولو أقسمت لك على
القرآن فسيداخلك شك في يميني.. إن لم تجدى آثار أحمر
شفاه في منديلي فقد تتخيلين أني مسحت شفتي في منديلها..
ولو لم أخرج من البيت مساء فقد تتصورين أني أقابلها
صباحا.. ولو سألت عني في التلفون ووجدتني في مكتبي

سيتهياً لك أنى معها.. لا.. إن الثقة عندما تصاب بالشك فإنها
أصببت بالسرطان كلما بقرت أثراً من آثاره امتد فى أثر آخر.
قالت :

- كأنك تقول إنه لا أمل لنا.

قال :

- الأمل الوحيد فى نفسك.. حاولى أن تقنعى نفسك بأن
ما أصبت به ليس سرطاناً.. مجرد ورم مؤقت وسينتهى.

قالت :

- سأحاول.

قال :

- سأتركك إلى أن تستعيدى ثقتك فى..

قالت ملهوفة كأنها تتوسل :

- لا.. لا تتركنى.. إنى مريضة كما تقول.. إنى أتألم حتى
الورم المؤقت يؤلم.

(هذا مشهد من قصة بدأت أكتبها منذ ثلاث سنوات
ولم أتمها حتى اليوم.. عثرت على أوراقها وأنا أحاول أن أشغل
نفس بشيء يريحنى من رأسى).

وانتصرت العروس

شاهدت فيلما عن مشكلة نفقات حفلات الزفاف.. المشكلة الأبدية.. مشكلة كل عصر وكل طبقة.. ورغم ذلك فهي مشكلة لم تحل ولا تزال حفلات الزفاف تتسلل إلى جيوب الناس كالثقال الماهر وتسرق كل ما فى الجيب وما فى الغيب أيضا.

وخلال مشاهد فيلم.. كنت أتذكر صديقا لى تزوج منذ خمسة عشر عاما.. وكان أيامها شابا ثائرا.. لم تكن ثورته لها حدود ولا وعى.. كان لا يكتنع بشيء لمجرد أن الناس تواضعوا عليه.. ولا يؤمن بقانون لمجرد أن الدولة أقرته.. وكان عنيفا عنيدا. وأحب بكل عنفه.. وعناده .. وأقدم على الزواج وهو أشد عنفا وعنادا.. لا مهر ولا شبكة ولا حفلة زفاف ولا شيء أبدا.. وظل حتى آخر أسبوع قبل الزفاف وهو معتقد أنه منتصر بعنفه وعناده وأن أهل الزوجة قد رضخوا له.

وجاءته عروسه تقول فى خفة ودعة :

- سأرتدى ثوب العرس.

وصرخ :

- لا .. مستحيل.. لماذا ترتدى العروس ثوبا خاصا.. إنى لم أحبك وأنت ترتدين هذا الثوب.. أحبيتك بثوبك هذا وسأتزوجك بنفس الثوب.

قالت فى انكسار :

- إنى سأرتديه مرة واحدة فى حياتى فلا تبخل به على..

وصرخ :

- أنت ستترتدينه للناس لا لى.. وأنا الذى أتزوجك لا الناس.. مستحيل.. إنى لست مقتنعا بهذه التقاليد السخيفة.. لماذا يكون ثوب العرس أبيض.. لماذا لا يكون ورديا.. إنى أحب الورود أكثر فلماذا يفرض الناس على اللون الأبيض.. ولماذا يكون فضفاضا طويلا لماذا لا ترتدى العروس بنطلونا مثلا إنى أحبك وأنت ترتدين البنطلون.. ولماذا تضع العروس طرحة على رأسها إنى أحب أن أرى ضفيرتك وأريد أن أراها فى كل لحظة وخصوصا فى هذه اللحظة.. لماذا كل هذه التعقيدات.. سنذهب ونتزوج.. مال الناس ومالنا.

وجرت دموع صامتة فوق وجنتى العروس ثم ارتفع تشنجهما ثم أسقطت رأسها فوق صدره وأخذت تبكى كأنها تبكى عمرها كله.

قال وهو يربت على كتفها ثم يضمها إلى صدره :

- لا تبكى.. حاولى أن تفهمينى.. و..

وقاطعته وهى تنشج :

إنى أفهمك.. إنك على حق.. ولكن ما أريده أقوى من فهمى

وأقوى من الحق.. لقد عشت حياتى كلها أحلم بهذا الثوب.. كل البنات يحلمن به..

وأنا وحدى سأحرم منه.. كأتى لم أتزوجك.

ولان .. وبدأ يقدر أن عروسه لا يمكن أن تكون فى مثل عنفه وعناده.. إنها أرق من ثورته.. فسمح لها بارتداء الثوب.
ثم لا يدرى ما حدث بعد هذا.. لقد دارت الحوادث بسرعة عجيبة حتى لم يستطع أن يلاحقها أو يوقفها.. ولكنه وجد نفسه فى حفلة زفافه.. ووجد نفسه يرتدى الأسموكنج ويجلس فى الكوشة والراقصة ترقص أمامه.. ووجد نفسه يشتري علب الملابس ويدعو المدعوين ويشتري شبكة ويساهم فى انتقاء الجهاز.. كل شىء حدث وكأنه لم يكن نائرا على التقاليد ولا عنيفا ولا عنيدا.

إنه لا يزال حتى اليوم وبعد خمسة عشر عاما لا يدرى كيف حدث كل هذا ولا كيف تنازل عن ثورته وعناده.. وأحيانا ينظر إلى وجه حماته ثم ينقل بصره إلى وجه زوجته محاولا أن يتذكر كيف خدعته فى ثورته.. ثم يفضل ألا يتذكر.

أخبار الحب

إنه يعمل.. ويعمل كثيراً
لا تسأله لماذا يعمل.. ولا تسأله لماذا
لا يخفف العبء عن نفسه.. فهذه هي طبيعته.. أن
يجلس الليل كله وظهره منحني فوق أوراقه وقلمه ☐
بيده.. وهو لا يشكو من العمل.. ولكنه أحياناً ينتفض وهو
يشعر بوخز حاد.. ويلتف فيجد سكيناً مغروزاً في ظهره.
ويدير عينيه ليبحث عن صاحب السكين فلا يجد أحداً خلف
ظهره.. إن خلف ظهره ظلاماً والنور فوق قلمه.. وفوق الأوراق
التي يسطرها.. ويتنسم في مرارة وينتزع السكين من ظهره..
ويعود يعمل.. ويعمل كثيراً وكان شيئاً لم يحدث.
وتتوالى السكاكين.
وهو لا يزال ينزعها ثم يحني ظهره فوق قلمه ليتلقى سكيناً
آخر.
إنهم لا يريدونه أن يعمل لأنهم لا يعملون.

لا يريدونه ناجحاً لأنهم فاشلون.
لا يريدونه نظيفاً لأنهم متسخون.
لا يريدونه حراً لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا أحراراً حتى
لو كانوا خارج السجون.

من هم ؟؟

لا يعرف.. ربما لأنه لا يريد أن يعرف.. فهو لا يبحث أبداً
عن أفراد ولكنه يبحث دائماً عن المجموع.. وقد يكون بين
الأفراد السافل والحقير والشرير.. ولكن المجموع دائماً طيب
كريم نقي.. وقد نصره المجموع دائماً وحارب الأفراد دائماً.

والمجموع يعلمه الحب ويمنحه الأمل والسلام والثقة ولذلك
يتعلق به.. الأفراد يعلمونه الحقد والكراهية والحرب.. ولذلك
لا يريد أن يعرفهم.. إنما يغفر لهم دون سابق معرفة.

وقد تمت فيه وشايات كثيرة.

وأثيرت حوله إشاعات دنيئة.

وشايات وإشاعات من قوم ليس بينه وبينهم شيء إلا أنهم
قوم متبرعون.

وأحياناً يفيض الخير بالإنسان فيتبرع به.. وأحياناً يفيض
الشر بالإنسان فيتبرع به أيضاً.

وقلب هذه الوشايات والإشاعات بين يديه ثم ألقى بها فى
سلة المهملات كأنه ينقض سيجارته.

وعاد يعمل.. ويعمل كثيراً.

وصاح فيه صاحبه :

- لماذا لا تؤذيهم.. أصحاب هذه الوشايات والإشاعات؟

ورفع رأسه عن أوراقه وقال فى هدوء :
- لا أستطيع.. إن إيذاء الناس موهبة ليست لى.. كل
ما أملكه هو الحب.
لو أرادوه فهو لهم؟؟
وصاح صاحبه :
- الحب حتى لهؤلاء؟؟
قال وقد اتسعت ابتسامته :
- لقد انتصرت دائما بالحب.. انتصرت حتى على هؤلاء !

السؤال الثاني

خطاب من سيدة مجهولة لم تذكر من اسمها
إلا حرف (ف).

إحسان :

حدثني عن السعادة.. ماهي؟ هل وجدتها؟ أين؟



لقد قال الشاعر الفرنسي : «إن السعادة ابتسامة تمر على
شفطيك تاركة دمعة في عينيك..» فهل صحيح أن لا سعادة
بلا شقاء؟

ليست السعادة في المال.. فعندى المال ولست سعيدة.

وليست في الأولاد.. فعندى أولاد وبنات ولست سعيدة.

وليست في الحب - كما قد تقول - فإننى أحب ولست
سعيدة.

وليست فى استقرار الحياة فحياتى مستقرة ولست سعيدة.

ولو سألتني عن أسعد لحظات عمرى لقلت لك إنها اللحظات

التي خالفت فيها ضميرى.

فهل السعادة فى الاستغناء عن الضمير ؟؟
«إحسان».. لا تلقى على درسا فى الفضيلة فأنت لا تصلح
لإلقاء الدروس إنما قل لى الحقيقة.. حقيقة النفس البشرية..
فقد أستريح إذا سمعت منك أننا جميعا ولدنا للخطيئة.

سيدتى..

إن السعادة معنى مجرد كالأوهام.. ليست شيئا محسوسا
تستطيعين أن تشتريه من شيكورييل أو تستورديه من
كريستان ديور.. والإنسان لن يصل إلى المعانى المجردة إلا إذا
كان هو نفسه مجردا طليقا حرا كالهواء.. ولكن الإنسان ليس
معنى إنه شيء.. وهو ليس طليقا حرا بل هو روح سجين فى
جسد وجسد مقيد إلى روح.

فإذا حاولت الروح أن تنطلق صدها الضلوع.
وإذا حاول الجسد أن ينطلق جذبه الضمير.. أى الروح.
ولهذا فالسعادة ليست فى الفضيلة ولا فى الخطيئة.. وقد
تسعد الروح بالفضيلة ولكن الجسد يتعذب بها وقد يسعد
الجسد فى الخطيئة وتتعذب بها الروح.

إن فى كل لمسة من لمسات السعادة نفسا من الشقاء.. وفى
كل لمسة من لمسات الشقاء نفسا من السعادة.
هكذا كتب علينا.. لأن كلا منا مجرد إنسان.. ليس ملاكا
حتى يسعد مع الملائكة ولا شيطانا ليسعد مع الشياطين.. إنه
مجرد إنسان.

والحياة نفسها - حياة الكون كله - لا تسير نحو سعادة
الإنسان.. إنما هى تسير لمجرد الاستمرار.. أن نتعاقب جيلا بعد

جيل وأن تدور الأرض حول الشمس وأن تدور الكواكب في أفلاكها.. بلا هدف إلا لمجرد الاستمرار.. ونحن اليوم لسنا أقل سعادة ولا أكثر شقاء من أجدادنا منذ بدء الخليقة.. ولن نستطيع العلماء والفلاسفة أن يغيروا الحياة لنعيش سعداء سعادة كاملة.

ونصيحتي لك ياسيدتي أن تستمرى مع الحياة دون مقاومة ودون تفكير.. وأن تسعدى إذا سعدت وأن تشقى إذا شقيت.. دون أن تسألى ما هى السعادة وما هو الشقاء.

ولا تحاولى أن تستغنى عن ضميرك فالضمير - كما قلت - هو الروح.. ولن تستطيعى أن تستغنى عن روحك.

ولا تحاولى أن تستغنى عن خلجات جسدك.. فلن تستطيعى أن تعيشى بلا جسد.. هكذا أفعل أنا.

وكل ما أريده هو أن أحاول دائماً أن أحب.. أحب حتى أعدائى.. فإن شقاء الحب أخف بكثير من شقاء الحقد والكراهية.

ولعلى بهذا لم ألق عليك درسا فى الفضيلة فأنا كما تقولين لا أصلح لإلقاء الدروس.. إنما أصلح لقول الحقيقة.. والحقيقة يصعب دائماً الوصول إليها.

سـ لـ كـ لـ نـ جـ ا

أـ لـ نـ جـ ا لـ سـ مـ ا لـ نـ جـ ا

لا يكفى أن تكون صحفيا ناجحا أو كاتباً
ناجحا لتكون صاحب جريدة ناجحة.
ولا يكفى أيضا أن تكون صاحب رأسمال
ضخم لتكون صاحب جريدة ضخمة. □
وقد كان العقاد - مثلا - كاتباً صحفياً ناجحاً يؤثر ضجة كل
صباح عندما كان يحرق فى جريدة روز اليوسف اليومية..
ولكنه فشل عندما حاول إصدار جريدة لنفسه أسماها الضياء
على ما أذكر.

ومحمود عزمى مندوب مصر اليوم فى هيئة الأمم المتحدة
كان دائماً صحفياً عبقرياً ورغم ذلك فشل فى إصدار جريدة
ناجحة.

وفكرى أباطة.. كانت جريدة الأهرام تباع باسمه عندما كتب
بها ثم أصبح رئيساً لتحرير المصور وعمادها الأول فى
التوزيع.. وقد مضى عليه إلى اليوم ثلاثون عاماً وهو رئيس
لتحرير المصور ورغم ذلك لم يحاول إصدار جريدة لنفسه

ورفض جميع العروض المغرية التى عرضت عليه لإصدار جريدة.. لأنه يعترف بأنه لا يستطيع أن يصدر جريدة.. ومن ناحية أخرى حاول السيد أحمد عبود أن يدخل برأسمال ضخيم إلى ميدان الصحافة وأصدر جريدة أسماها الكشاف.. فلم تنجح وضاع رأس المال الضخم وكانت تجربة لم يحاول عبود أن يعاودها مرة ثانية.

وحاول كثيرون من أصحاب رؤوس الأموال - وبلاش أسماء - أن يصدروا صحفا كعمل تجارى ناجح يضيف على صاحبه نفوذا كبيرا.. ولكن أغلبهم - أو كلهم - فشلوا.. وبعضهم عاد مشقوق الجيب مجروح الفؤاد.

إنما إصدار جريدة ناجحة يحتاج إلى عبقرية خاصة .. ليست عبقرية الفن وحده.. ولا عبقرية رأسمال المال وحده.

ما هى - أولا - الجريدة الناجحة ؟

هل هى الجريدة الأكثر توزيعا ؟ إن التوزيع يقوم أحيانا على أسباب لا يمكن أن تكون عنصرا من عناصر نجاح الصحيفة.. كالافراط فى التفاهة وقد جاء وقت كانت أكثر المجالات المصرية انتشارا هى أشدها تطرفا فى التفاهة.. ولن أنكر أسماء.

وقد يقوم انتشار الجريدة على التضليل والكذب والتهويز أو على الإثارة الجنسية الوقحة وكلها أسباب لا يمكن أن تتخذ عناصر لنجاح جريدة محترمة.

وقد يكون انتشار الجريدة لأسباب خارجة عن العمل الصحفى نفسه كإصدار يانصيب مغر أو التأمين على حياة القراء ضد حوادث الطريق.. كما فعلت مرة جريدة الديلى ميل

الانجليزية فارتفع توزيعها إلى مليونى نسخة وسؤال آخر..
قبل أن نعود إلى عناصر نجاح الجريدة.

هل الجريدة الأكثر توزيعا هى الجريدة الأكثر نفوذا بين
طبقات الشعب؟.. أو هى الجريدة التى تستطيع أن تثير الشعب
أو تحتفظ بهدوئه أو تقيم حكومة وتسقط أخرى محتفظة دائما
بثقة القارئ وإيمانه واطمئنانه إليها ؟

لقد كانت جريدة نيوز أوف دى ورلد تباع ثلاثة ملايين
نسخة والدبلى ميل تباع مليونين والدبلى اكسبريس تباع
حوالى الثلاثة ملايين أيضا ولم تكن التميز تباع أكثر من
اربعمائه الف نسخة.. ورغم ذلك ظل نفوذ التميز أقوى من
نفوذ الجرائد الثلاث مجتمعة مدة طويلة .. وأعتقد أنها لا تزال
أقوى الصحف الانجليزية نفوذا.

وعلى العكس.. فإن الجرائد الأكثر توزيعا فى انجلترا هى
أبعد الصحف عن قلوب القراء وأصحابها من أوائل
الشخصيات التى يكرها الشعب وينفر منها.. ولكن القارئ -
رغم ذلك - يشتري هذه الصحف لأنه يجد فيها ما يوازي
قرشه أو يزيد.. تماما كما يقبل الجمهور على الأفلام الأمريكية
ويهمل الأفلام المصرية لأن الأولى تقدم له ما يستحق أجر
الدخول.. بينما الثانية تعتمد فقط على وطنيته.

ودعنا - فى هذا المجال - من الصحف المصرية.. الآن.

ما هى عناصر الجريدة المثالية الناجحة.. التى تضمن
للقارئ الأمانة والصدق وحسن التوجيه وتضمن لصاحبها
عدم خرابه وضياع رأسماله ؟

قرأت كتابا لويكهام ستيد الصحفى الانجليزى المشهور

الذى تولى رئاسة تحرير التيمز فترة من الوقت.. يعدد فيه عناصر الجريدة اليومية المثالية الناجحة وهى.. بعد التلخيص.. النجاح التجارى للجريدة ليس معناه نجاح الجريدة فالجريدة المثلى هى التى لا يؤثر عليها الجشع التجارى والرغبة فى الربح.

يجب أن يكون ظهور الجريدة الجديدة يصحبه عدة مفاجآت بحيث ترتبك الجرايد الأخرى الموجودة فعلا ولا تفيق إلا بعد أن تكون الجريدة الجديدة قد احتلت مكانتها لدى القراء.

نجاح الجريدة يقوم على قدرة محررها على قراءة أفكار الأجيال القادمة الناشئة ثم قيادتها إلى الطريق الذى لو عرفته لانقادت إليه.. والأجيال الناشئة ينقصها دائما فكرة تؤمن بها وينقصها الهدف الذى تعيش له وتموت فى سبيله.. إنهم - مثلا - يلعبون الرياضة ليكونوا صالحين ولكنك لو سألتهم صالحين لماذا ؟ لما عرفوا الجواب.

وعلى الجريدة المثالية أن تجد الجواب.. وأن تجد الفكرة والهدف.

الجريدة المثالية تبحث عن الحقيقة وتعلنها صراحة دون خشية ودون تأثير وتسمى الأشياء بأسمائها الحقيقية ولا تلف ولا تدور وتعطى الشرف لمن يستحقه حتى ولو كان من أعدائها وإن أخطأت كان خطأها درسا لها.

لا تقبل الجريدة إلا الإعلانات الشريفة حتى يكون فى نشرها ضمان للمعلن وللقارئ فإذا داخلها الشك فى إعلان نشرته فى صيغة التشكيك.

لا تلجأ الجريدة إلى الوسائل التجارية كاليانصيب ونشر

شهادات التوزيع والتأمين على القارئ والهدايا.. إلخ.
 الجريدة لا تجامل أحدا ولا تشهر بأحد.
 نشر الأخبار هو واجب الجريدة الأول.
 لا تتعب القارئ في إرساله من صفحة إلى صفحة وراء
 بقايا الأخبار والمواضيع كما تفعل بعض الصحف حرصا منها
 على أن تضع كل العناوين في الصفحة الأولى.
 لا تغش القارئ بالعناوين المثيرة أو بإعادة نشر أخبار
 قديمة في صيغة جديدة.
 تنشر الجريدة كل الأخبار سواء كانت ضد سياستها أو مع
 سياستها فالحقيقة أولا.
 لا تؤيد الجريدة حكومة أو حزبا ولا شخصا إلا إذا كان
 ذلك في سبيل الشعب والشعب هو السيد والخادم الأمين
 للشعب هو الذى يقول الصدق دائما لسيد.
 ويستمر ويكهام ستيد في وصاياه التى تقوم عليها الجريدة
 المثالية الناجحة.. ويؤكد أن مثل هذه الجريدة تضمن توزيعا
 كافيا لأن تستمر وإعلانات كافية لموازنة الميزانية.
 ورغم ذلك فويكهام ستيد لم يصدر جريدة لنفسه وإذا
 اقتنعت بكلام الصحفى العالمى المشهور فحاول أن تختار
 جريدتك الصباحية : الأهرام أو الأخبار أو الجمهورية.
 ملحوظة : كتبت أسماء الصحف الثلاث حتى لا أغضب أحدا
 بترتيب أقدميتها.

كيف تختار المبدأ السياسى

الذى تؤمن به ؟

كيف وجدت كل هذه المبادئ السياسية التى يتصارع حولها العالم ؟ وكيف ظهرت ألفاظ الشيوعية والرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية والديكتاتورية. □

كل هذا وجد لأن إنسانا سأل نفسه فى أوقات فراغه : ما هى علاقة الفرد بالدولة. وأفلاطون عندما وضع كتابه «الجمهورية» لم يفعل أكثر من أن سأل نفسه هذا السؤال. وكارل ماركس وانجلز عندما وضعوا نداءهما المشهور الذى يبدأ بالهتاف المعروف : « يا صعايك العالم اتحدوا » كانا يسألان نفس السؤال.

وأنت تستطيع أن تلغى من ذاكرتك كل هذه المبادئ وكل هذه الألفاظ ثم تسأل نفسك : «ما هى علاقتك بالدولة؟» وعندما تجد الجواب ستجد المبدأ

الذى تؤمن به.. وقد يكون أحد المبادئ المعروفة وقد تصل إلى مبدأ جديد لم يسمع به العالم من قبل.

اسأل نفسك مثلاً : ما هو واجب الدولة عندما تريد أن

تتزوج؟

هل من واجبها أن تعد دفاتر للزواج تسجل فيها زواجك ؟
أم يكفى أن تقف الدولة من بعيد تراقبك وأنت تعقد زواجك
بمجرد الإيجاب والقبول أمام شاهدين كما تنص الشريعة
الإسلامية ودون عقد ؟

وهل من حق الدولة أن تتقاضى ضريبة على زواجك كرسوم

تسجيل ؟

وهل من واجبها أن تعد فتيات الأمة كلها وتثقفهن ثقافة
خاصة لتصلح كل منهن للزواج بك ؟ أم أن الدولة غير مسئولة
عن اعداد الفتيات للزواج وأنت بعد ذلك حر فى تحمل مسئولية
اختيارك ؟

ثم هل من حقك على الدولة أن تعد لك البيت الذى ستعيش
فيه مع عروسك وتؤثته لك ؟ وهل تكون جميع البيوت التى
تعدّها الدولة متساوية ؟ أم أن الدولة غير مسئولة عنك سواء
عشتما فى قصر أم عشتما فى خيمة ؟

وبعد أن تنجب أطفالا هل الدولة مسئولة عن إعالتهم
وتربيتهم وإعدادهم للحياة ؟ أم أنت وحدك المسئول عن أولادك ؟
ومن حقك - مثلاً - أن تنشئهم فى المدارس الفرنسية أو
المدارس الجريكية إن لم تعجبك المدارس المصرية ومن حقك
أيضا أن تتركهم بلا تعليم إطلاقا ما دمت تريد ذلك أو ما دمت

لا تستطيع أن تدفع لهم مصاريف المدارس ؟ أم أن مسئولية تعليم الأولاد توزع بين الدولة وبينك فالدولة مسئولة عن تعليمهم إلى حد معين وعليك أنت الباقي.
ثم..

هل من حق الدولة أن تمنعك من الزواج إذا كنت مريضا مثلا بمرض وراثي أو إن كنت ضعيفا أو إن كنت مجرما.
إذا أردت الطلاق.. هل يكفي أن تترك زوجتك وتمشي؟ أم يجب أن تبلغ الدولة بأنك طلقت؟ أم واجب الدولة أن تمنعك من الطلاق إلا إذا وقفت أمام القاضي وتقدم له من الأسباب ما يقنع الدولة بالطلاق؟

هذه الأسئلة البسيطة التي تدور حول زواجك ينتهي جوابها إلى أحد المبادئ التي سمعت عنها ودرستها.. قد ينتهي الجواب إلى الرأسمالية وقد ينتهي إلى الاشتراكية أو إلى الشيوعية وينتهي بالتالي إلى اختيار شكل الدولة التي تؤمن بها سواء كانت دولة ديمقراطية أو ديكتاتورية أو دولة.. نص نص..

وعندما تسأل نفسك ما هي علاقتك بالدولة ؟ لا تدخل في تفكيرك الألفاظ الرنانة العامة.. كلفظ الحرية.. أو العدالة.. أو المساواة.. إلخ..
إنها مجرد ألفاظ..

ألفاظ تدل على حقيقة واحدة مجسمة تتفق عليها كل الآراء.. فالحرية ليست بناء مثلا لا يختلف إثنان في أنه بناء وليست سيارة أو يختلف إثنان في أنها سيارة.. إنما هي معنى وهي

لا تحس به ولا تلمسه إلا فى مدلولاته وتطبيقاته.. كالكهرباء
مثلا فأنت لا ترى الكهرباء ولم يرها أحد من قبلك ورغم ذلك
فالكهرباء موجودة فى مدلولاتها وتطبيقاتها.. فى النور الذى
يضاء وفى الراديو وفى التليفزيون.. الخ.
والحرية لها ألف مدلول وألف تطبيق وكلها رغم الاختلاف
الكبير بينها يمكن أن يتمتع كل منها بلقب : حرية.
مثلا..

أنت حر فى أن تذهب إلى الطبيب ولا تعترض الدولة على
ذهابك إليه بل إنها ترصف الطريق إلى عيادته وتعين عساكر
بوليس حتى لا يعتدى أحد على حقل فى علاج نفسك.. هذه
حرية لا شك.

ولكن رغم أن الدولة تضمن لك حريتك فى الذهاب إلى
الطبيب فإنك قد لا تكون حرا فى الذهاب إليه لأنك لا تملك قيمة
القرينة التى تدفعها له.. إذن فالحرية فى هذه الحالة هى أن
تجعل الدولة أجر الطبيب زهيدا بحيث لا يزيد على خمسة
قروش حتى تكون حرا فى الذهاب إليه.. وهذا شكل آخر من
أشكال الحرية.

ولكنك رغم ذلك أيضا قد لا تكون حرا فى الذهاب إلى
الطبيب لأنك لا تملك الخمسة قروش التى تدفعها له إذن فيجب
أن تتولى الدولة علاجك بالمجان إذا أرادت أن تضمن لك حريتك
فى الذهاب إلى الطبيب وهذا مدلول ثالث للفظ الحرية.

ولكن مرضك قد يكون خطيرا حتى يتعارض مع حرية
الآخرين فى أن يعيشوا أصحاء.. قد تنتقل إليهم العدوى وقد

تتزوج فتتجب أطفالاً مرضى يلوثون الشعب ويضعفون الجنس الذى تنتمى إليه.. إذن فالحرية - حرية الآخرين - لا تسمح لك بالذهاب إلى الطبيب ولا تسمح لك بالعلاج حتى يتم شفاؤك ما دمت قد لا تشفى فيجب أن تقتل أو تعقم أو تعزل عن الحياة.. وهذه نظرية رابعة لتفسير الحرية.. نظرية كان يؤمن بها هتلر وأمثاله.

وهذه التطبيقات المختلفة للفظ الحرية تنتهى إلى فوارق كبيرة فى المبادئ السياسية ونظم الدولة.. فالحرية الأولى هى الحرية الرأسمالية والحرية الثانية هى الحرية الاشتراكية والحرية الثالثة - إذا طبقت على كل الناس - هى حرية الشيوعية والحرية الرابعة هى حرية الحاكم المجنون.

فلا يكفى أن تتنادى بالحرية منساقاً وراء الجموع بل يجب أن تختار لنفسك تطبيقاً من تطبيقات الحرية، تجد فيه إيمانك وتعرف على ضوءه طريقك وطريق أبنائك وأحفادك.

الزوجة العاقلة

كتبت مرة أن مهمة وزير المالية لا تختلف فى
شئ عن مهمة ربة البيت وأن جميع الدفاتر
والسجلات والأضابير التى تحتفظ بها وزارة
المالية لا تزيد فى شئ عن الدفتر الصغير الذى
تحتفظ به ربة البيت المنظمة والذى يسمى دفتر المصروف..
وإن جميع التعابير الاقتصادية الجافة التى تتردد على ألسنة
الاقتصاديين فى العالم كله لا تعنى شيئاً أكثر مما يعنى لفظ
إيراد ولفظ متصرف.

والواقع أن الحكومة كلها بكل وزرائها وبكل أدواتها لا تقوم
بأكثر مما تقوم به ربة البيت.. فوزير الأشغال ووزير البلديات
- مثلاً - لا يقومان بأكثر من مهمة الزوجة فى تنظيف وتجميل
البيت ووزير المعارف لا يقوم بأكثر مما تقوم به الزوجة من
تعليم أولادها المشى ونطق الكلمات ووزير التجاره يقوم بدور
الزوجة عندما تشتري لوازم البيت من السوق ثم توزعها على
أفراد العائلة.. الخ.

والفرق الوحيد هو الفرق بين البيت الصغير الذى يضم أفراد عائلتك والبيت الكبير الذى يضم أفراد الأمة كلها.. وهو الفرق بين إيرادك ومصروفك الخاص وإيراد ومصروف الأمة كلها.

والفرق بين مهام ربة البيت ومهام قائد الجناح عبداللطيف البغدادى هو الفرق بين الكوريدور الذى يصل بين الصالة وغرفة النوم داخل البيت وبين شارع فؤاد - ٢٦ يوليو - حاليا الذى يصل بين الزمالك والعتبة الخضراء داخل القاهرة.

وأنت عندما تفكر فى الزواج لن تبحث عن فتاة كل شروطها أن تكون غنية جدا بل إنك - ما دمت رجلا معتزا بشخصيتك فاهما لمصالحك - سترفض الزواج من هذه الغنية جدا حتى لو كنت تحبها لأنك لو تزوجتها فلن تفهم عقليتك ولن تفهم حاجياتك المعيشية ولن تفهم عاداتك ولن تستطيع بالتالى أن تدبر إيرادك بحيث تصرف كل قرش من قروشك فى محله وستضطر إذا لم تطلقها أن تعيش على ما يحسن به والدها عليك.. والإحسان تأباه النفس الأبية وأنت - كما أرجو - أبى النفس.

إنما ستختار زوجتك من درجة قريبة من درجتك ومن بيئة قريبة من بيئتك بحيث تشترك معك فى عقليتك وتفهم كيف تدبر شئونك وكيف تحقق السعادة لك ولأولادك فى حدود إيرادك. وكذلك عندما تختار الحكومة التى تثق بها فأنت لا تختار حكومة لأن وزراءها أغنياء لا يفهمون إلا مصالح الأغنياء ولا يحسون إلا بإحساس الأغنياء ولا يفكرون إلا بعقلية الأغنياء.. بل إنك قد تتورع مثل هذه الحكومات كما ثرت على

حكومات العهد الماضى لأنها كانت حكومات مبدرة تخدم الأغنياء وعلى رأسهم الملك ولا تحس بما أنت فيه من فقر وجوع.

وعندما تتسلم زوجتك منك مصروف البيت فى أول كل شهر سيكون أول ما تفكر فيه وأول ما تسأل نفسها عنه هو ماذا أشتري أولاً ؟ وعلى قدر اجابتها على هذا السؤال - وهو سؤال ليس هينا - تستطيع أن تحكم على درجة ذكاء زوجتك ودرجة غيرتها على مصالحك.

فإذا كان البيت فى حاجة إلى خزين.. خزين أرز ولكنها بدلا من أن تشتري الأرز اشترت بالنقود زجاجة عطر أو إذا كان ابنك فى حاجة إلى حذاء ولكنها بدلا من أن تشتري الحذاء اشترت لنفسها زوجين من الجوارب النايلون.. فإنك تستطيع فى هذه الحالة أن تطلقها غير نادم.

وكذلك الحكومة.. فإذا كان الأفراد فى حاجة إلى الغذاء أو فى حاجة إلى مدارس.. ولكن الحكومة بدلا من أن تصرف ميزانيتها على الغذاء والأدوية والمدارس صرفتها على استيراد عقود الماس وأقراط اللؤلؤ وأساور الذهب.. فهى حكومة غير مدبرة لا يمكن أن تتقدم بالامة أو تسعدها.. ولذلك فإن الثورة أول ما فكرت فى رفع مستوى الأفراد.. رفعت الضرائب على التمايلات بفئات باهظة لأن البيت الكبير فى غنى عنها فإذا وجد من بين الأفراد من يصمم على اقتنائها - اقتناء هذه الكماليات - فيجب أن يدفع أضاف ثمنها الأسمى للدولة حتى تشتري به بعض الضروريات الأولية التى يحتاج إليها بقية الأفراد.

ولكن زوجتك قد تعجز عن تحقيق المساواة بين أفراد العائلة

نظرا لضائكة مرتبك وهى فى الوقت نفسه لا تستطيع أن ترسل أحد أولادها إلى المدرسة ولا ترسل آخر أو تشتري ثيابا لأحدهم ولا تشتري لآخر وفى هذه الحالة ستطلب منك أن تستغنى حتى عن الكماليات كأن تطلب منك الإقلاع عن التدخين أو ترجوك أن تذهب إلى مقر وظيفتك سيرا على قدميك أو عدم التردد على القهوة لتوفر القرش الذى تدفعه هناك.. وقد تزداد الحالة سوءا فتبدأ الزوجة فى الاستغناء عن بعض الضروريات وبدل أن تسأل نفسها ماذا تشتري أولا تجدها تسأل نفسها عما أستغنى أولا وقد تضطر أخيرا إلى بيع قطع الأثاث الجميلة التى تجذب بها الأصدقاء، كما باعت الثورة مخلفات فاروق التى كان المفروض أن تبقى لتجذب السياح ثم لا تجد الزوجة وسيلة بعد ذلك إلا أن تفكر معك كيف تزيد إيرادات البيت بأن تدفعك إلى البحث عن عمل إضافي أو تبحث هى عن عمل لنفسها لتضيف إيراداتها إلى إيراداتك وتتمكن بذلك من تحقيق المساواة بين أفراد العائلة.

وكذلك الحكومة أيضا.. فهى تتبع فى خطواتها نحو الاشتراكية أى نحو المساواة بين أفراد البيت الكبير نفس ما تتبعه الزوجة العاقلة.. ضغط المصروفات وزيادة الإيرادات.

وزيادة الإيراد وسيلته تسمى التصنيع.

ويوم تصل الحكومة إلى حد أن يصبح المصروف والإيراد نتيجة تحقيق المساواة الكاملة بين أفراد الشعب كله ستكون قد حققت الاشتراكية.

وبعدها.. قد تستطيع أن تشتري عقود الماس وأقراط اللؤلؤ وأساور الذهب.. ويصبح لكل منا سيارة وتلفزيون وفريجيدير.

قل.. يارب.

الشيخ الفيلسوف

الكائن الحي الوحيد الذي لا أناقشه هو السيدة فاطمة اليوسف ولا أناقشها لأنى أخافها وأخافها لأنى أحبها.. ولكن السيدة فاطمة اليوسف لا تقدر فضيلة الخوف ولا تؤمن بأن الخوف نوع من الحب حتى لو كان خوفا عليها وعلى أعصابها وعلى حسن ظنها بى.

وفى الأسبوع الماضى أدليت بحديث لندوب الإذاعة قلت فيه إن الفن فى مصر ينقصه المال.. المال لنرتقى بالمرسح.. والمال لنرتقى بالسينما.. والمال لنرتقى بالفنان.

واستمعت السيدة فاطمة اليوسف إلى هذا الحديث ثم ضغطت على الجرس الذى يصل مكتبها بمكتبى وقالت فى هدوء وأنا واقف بين يديها ابن مطيع وتلميذ صغير.

- الفن فى مصر ينقصه الفنان.

قلت فى استسلام :

- حاضر.

وبهذا انتهت المناقشة.

ولكن كلمة حاضر ظلت واقفة فى حلقى كالشوكة ووجدت
نفسى مضطرا لأن أكمل المناقشة بينى وبين نفسى .
هل صحيح أن الفن فى مصر لا يحتاج إلا الفنان ؟
هل ظهر اليوم ممثل مسرحى فنان - كل فن - يستطيع أن
ينهض بالمسرح ؟

أين يجد المجال الذى يظهر فيه ؟ وكيف بينى مسرحا لنفسه
لائقا للممثل ؟ وكيف يكون فرقة محترمة تحيط به ؟ وكيف
يستأجر مواهب الفنانين الذين يبنون له الديكور ويعدون له
الملابس . الخ ؟

وإذا ظهر مخرج سينمائى عظيم فى قننه أين يجد الاستوديو
الكامل الذى يعمل فيه ؟ وأين يجد الوسائل التى يمكنه بها أن
يلقن الممثلين والممثلات كيف يمثلون ؟ وأين يجد الكاتب
والسيناريست الذى يرضى بأن يتفرغ له دون أن يدفع له
ما يكفى حياته ؟!

وإذا وجد أديب فنان - كله أدب وكله فن - هل يستطيع أن
يتفرغ لأدبه وفنه ويعيش عليهما ؟.. إن طه حسين وتوفيق
الحكيم لم يستطيعا أن يعيشا على أدبهما أو يتفرغا له بل وجد
كل منهما لنفسه وظيفة تعينه على الحياة ويقتطع فى سبيلها
جزءا من وقته ومن فكره ومن أعصابه اللذين كان يجب أن
يهبهما كلهما للفن.

إنه الفقر الذى يطمس الفن فى مصر.. وليس المعنى من ذلك
أن الفنانين فقراء.. فأم كلثوم تخطو نحو المليون الأول بسرعة..
وعبد الوهاب ارتفع رصيده حتى لم يعد يعلم ماذا يصنع به..
وفريد الأطرش أصبح يملك من العمارات بعدد ألعانة أو على
الأصح أفلامه.. وأنور وجدى بينه وبين عبود فرقة كعب.
ولكن ثراء الفنانين لا يعنى ثراء الفن.. وإذا أقام فريد

الأطرش عمارة أو اشترت أم كلثوم « حنة أرض » فليس معنى هذا أن الفن قد ارتقى .. وقد يكون هذا صحيحا لو أن أم كلثوم فكرت فى بناء مسرح حديث فخم يحمل اسمها بدل المرمطة بين سينما ريفولى ومسرح الأزيكية والسراندقات التى تقام لحفلاتها.

وقد يكون هذا صحيحا لو أن عبدالوهاب فكر فى إنشاء استوديو كامل المعدات الحديثة وأتى له بالخبراء أو لو أنه فكر فى إخراج فيلم ينفق عليه بحساب آخر غير حساب «القطارة».. أو لو فكر فريد الأطرش فى إقامة معهد موسيقى فخم يتولاه أساتذة عالميون أو لو جمع أنور وجدى فريقا من كبار الأدباء وتحمل نفقات تفرغهم للنهوض بالقصة السينمائية.. أو .. إلخ.

والفنان كما قلت كالجواهر لا يمكن اكتشافه إلا إذا حفرنا الأرض من حوله ورفعنا منها آلاف الاطنان من الأتربة والطين ثم شذبناه وصقلناه ثم وجدنا الحسنة التى تتحلّى به.. وعمليات الحفر ورفع الأتربة والتشذيب والصقل وإيجاد الحسنة.. كل ذلك يحتاج إلى مال.

ولكن الفن الآن فى مصر ليس فيه جواهر.. فيه أتربة وطين.. ولا يدخله إلا كل فتى صايع وكل فتاة مغامرة.. الناجحون فيه نجحوا بالحداقة والفاشلون فشلوا لسوء الحظ لا لأنهم ليسوا فنانيين.

ليس فيه جواهر لأن الجواهر لها ثمن.. والثمن غير موجود ولأن الحسنة التى تعشق الجواهر لم تظهر بعد.. كلهن حسناوات يعشقن الصفيح والزجاج.

وحالة الفن فى مصر اليوم كحالة الصحافة منذ ثلاثين عاما قبل أن تكون فيها رؤوس الأموال لترتقى بها وتكشف عن جواهرها.

كانت الصحافة تقوم على بعض الأقلام المعروفة.. العقاد

وطه حسين والمازنى.. كما يقوم الفن الآن على بعض الاسماء
اللامعة.. عبدالوهاب وأم كلثوم وأنور وجدى.. إلخ.
وغير هذا لم يكن فى الصحافة شىء.. لا مطابع ولا آلات
ولا فرق كاملة من الفنانين ولا علماء.. لم يكن سوى فريق
واحد من الشحاذين.. جعلوا الصحافة مهنة لا تشرف صاحبها
ولا تصون احترامه ولا يقربها رجل متعلم محترم.
هكذا الفن اليوم.

بقى شىء..

كيف نحصل للفن على المال؟

هل تقدمه الحكومة؟.. لا.. ألف مرة لا.. إنما تقدمه شركات
إما أن تتألف من كبار الفنانين الذين يملكون ثروات أو تتألف
من رؤوس أموال جديدة تدخل المجال الفنى بقصد الاستثمار.
ويوم يحدث هذا .. سيقضى على الفقر الفنى المتمثل فى هذا
الانتاج الفردى الضعيف الهزيل الذى لا يكلف صاحبه سوى
ثلاثة آلاف جنيه يدفع الموزع عليها سبعة آلاف ويبيع النسخ
مقدما بألف أخرى.. وهذا هو رأس المال كله.

يوم يحدث هذا .. لن تستطيع فاتن ولا زينات صدقى
ولا مديحة يسرى ولا ماجدة ولا محسن سرحان ولا عماد
حمدى.. ولا أحد من كل هؤلاء أن يقدم على الانتاج الفنى وحده
معتمدا على التصلة أو الفلسفة أو الحداثة والابتسامة الحلوة.

وقولوا عنى بعد ذلك إنى رأسمالى رجعى.

وأنا أفضل أن أكون رأسماليا من أن أرى الفن يذبح أمام
عينى.

«ملحوظة» قرأت السيدة فاطمة اليوسف ما كتبته.. وقالت
إن هذا ما كانت تقصده لأنه لو كان أحد من أصحاب الأسماء
اللامعة فنانا حقا لوهب الفن كل ربحه.

عن .. ولا عن

طلب منى يوسف السباعى أن أعد بحثا فى
الأدب لألقيه فى مؤتمر الأدباء المنعقد فى دمشق
ورفضت لأن الأدب عندى ليس بحثا.. ولكنه
إنتاج.. إنه قصة أو قصيدة وليس بحثا.. إنه فن

□
وليس نقاشا.

وأنا لا أحاول أن أضع إنتاجى الأدبى ضمن إحدى المدارس
الأدبية.. لست هادفا ولا غير هادف.. ولست رومانسيا ولا
واقعيا ولا صريحا ولا سرياليا ولا برجوازيا ولا بروليتاريا.
وقد يضعنى النقد فى هذه أو تلك ولكنى عندما أكتب
لا أضع نفسى فى إحداها بل أحرر نفسى من كل هذه القيود
وأهدم كل هذه الحوائط وأنفض عن رأسى كل ما قرأته من
أبحاث.. ثم أكتب.

وليس عندى إلا أساس واحد للأدب أؤمن به أساسا
لم يتغير ولم يبتذل منذ كتبت أول قصة فى تاريخ الإنسان..
ولم تستطع كل حذقة أصحاب الأبحاث أن تغير منه شيئا..

هذا الأساس هو الإنسانية نفسها.. أن يكون أدبا إنسانيا صادقا.. أن يعرض الإنسان على حقيقته بكل ما فيه من خير وشر فالأديب ليس قاضيا ليحكم على القاتل بالإعدام بل هو يعرض نفسية القاتل فى أمانة ولو انتهى عرضه بتبرئته مخالفا القاضى والقانون والدين أيضا.

والأديب ليس سياسيا.. ليس مطلوباً منه أن يكون شيوعيا أو اشتراكيا أو رأسماليا كل ما هو مطلوب منه أن يكون إنسانا صادق الإحساس.. وتحيز الأديب لأحد هذه المبادئ يلوث أدبه وفنه ويجعله يرى الإنسان بعين واحدة ونصف قلب ونصف إحساس.

هذا رأى.. وهو رأى يغضب الكثيرين من الذين يحاولون أن يلبسوا الأدب العربى أزياء مستوردة من روسيا أو من أمريكا.. مجرد أنها أزياء شغل إبرة والأديب الذى ينقاد لهذه المحاولة يصبح كالفتاة الغبية التى تنتقى لنفسها ثوبا مجرد أنها رأت صورته فى إحدى مجلات الأزياء ودون أن تستعمل ذوقها الخاص وتقدر ذوق الناس الذين ستبدو أمامهم ودون أن تقارن بين جسدها وجسد المانيكان التى رأت صورتها فى المجلة.. فقد تكون سميئة لا تصلح لارتداء البنطلون وقد تكون معضمة لا تصلح لثوب عارى الاكتاف.

وإذا كان لابد من تقسيم الأدب إلى مدارس فإننى لا أعترف إلا بتقسيمه حسب موطنه.. أدب روسى وأدب ألماني وأدب أمريكى وأدب فرنسى وأدب عربى.. والتقسيم هنا ينصب على المجتمع الذى يصوره الأدب، وعلى اختلاف العقليات واختلاف الذوق الفنى بين كل وطن وآخر.

والجهود التى تبذل فى ترقية الأدب العربى يجب أن تنحصر فى جعله أدبا عربيا ليس فيه الروسى أو الفرنسى أو الأمريكى.. أدبا عربيا صرفا ينبع من صميم المجتمع العربى.. ويعطى صورة صادقة للإنسان العربى فى ظروفه.. وفى مشاكله وفى عقليته وفى نفسيته.. و.. صورة صادقة لا تصور بطولات كاذبة ولا تخلق إنسانا خياليا مثاليا.. بل هو الفرد العربى كما هو.

ويوم يصل الأدب العربى إلى هذه الدرجة من الصدق فى التعبير عن المجتمع العربى سيصبح عالميا.. والأدب العالمى ليس هو الأدب الذى يصور أجواء العالم المختلفة بل هو الأدب الذى يصور مجتمعا واحدا تصويرا واضحا يعطى للعالم صورة صادقة عن هذا المجتمع.. وجميع الكتاب العالميين عرفهم العالم عندما كتبوا عن وطنهم والمجتمع الذى نشأوا فيه.. وكتبوا بصدق.

ثم هناك تقسيم أعم للأدب.. التقسيم الذى لا يستطيع أحد من المتحذلقين أن يقاومه : أدب جيد وأدب ردىء.. فن أو لا فن والأدب الجيد يقرأ.. والردىء لا يقرأ.. والفن يعيش.. واللافن يموت.

قصة الزواج

جلست مع سيدة زنجية من ترينيداد..
الشفاه الغليظة.. والأنف الأفطس.. والجبهة
الضيقة.. والرأس الصغير.. والشعر الأكثر
ورغم ذلك فإنها جميلة.. جمال خصب ملتهب □
كأرض خط الاستواء.. جمال يطن في أذنك كحفيف مزارع
قصب السكر ويأخذك إلى دنيا غامضة كأنك في حلبة لصيد
الوحوش.. ويملأ عينيك منها بلون بشرتها فكأنك تنظر إلى
قدح ملىء بالقهوة الساخنة اللذيذة تكاد من فرط اغرائه أن تمد
شفتيك وتأخذ منه شقطة.

إن ترينيداد جزيرة صغيرة من جزر الهند الغربية تقع
وسط البحر بين الأمريكتين الشمالية والجنوبية.. وهى
مستعمرة بريطانية تزرع السكر والكاكاو والبن ويعتصر فيها
الروم وهو نوع من الخمر كأنه الذهب الساخن.. وعدد سكانها
لا يزيد على نصف مليون يضمون بينهم مجموعة عجيبة من

المغامرين الانجليز والفرنسيين والاسبانيين والهنود والزنج.
والزنج هناك هم أتعس الطبقات ومن بينهم السيدة التى
جمعتنى بها احدى لىالى القاهرة.

وتقول الأنسكلوبديا إن جزيرة ترينيداد تبدو من بعيد كأنها
صخرية جرداء ولكنك لا تكاد تجتاز حاجز الصخور حتى تجد
نفسك فى الجنة.. تماما كالسيدة التى عرفتھا فلا تكاد تجتاز
بعينيك الحاجز الجاف الذى ترسمه الشفتان الغليظتان والأنف
الأفطس والشعر الأكثر حتى تجد نفسك فى الجنة.. جنة الفن.
إن كل عصب فيها يلتقط الجمال أينما كان حتى لو لم تره
العين وكل خلجة من خلجاتها كأنها رادار يلتقط الأنغام من
حولها ويؤثر بها فى كيائها كله.. إنها تسمع صوت عجلات
الترام فترتبك خطواتها مع ارتباك الأنغام الصدئة التى تخرج
من تحت العجلات.. وتسمع صوت النسيم مع الأغصان فى
شارع الجزيرة فترق وتتهافت كأنها تستجدى النسيم أن
يتلاعب بغصنها وتسمع الموسيقى فترقص - حتى ولو كانت
جالسة - مادامت الموسيقى راقصة وتبكي إذا كانت الموسيقى
باكية وتضحك إذا كانت الموسيقى ضاحكة.. ثم تخلو إلى
نفسها فتنقر بأصابعها نقرات خفيفة فوق المائدة وتغنى أغنية
حزينة من بلدها مطلعها :

إنى جالسة على شاطئء المحيط لأنى تعيسة لا أملك
ما يكفى لأعود إلى بلدى فى ترينيداد .

وتستمر فى أغنيتها على وقع نقرات أصابعها كأنها تعيش
فى حلم بعيد ترويه بدموعها ثم تصمت قليلا.. وفجأة تضرب

المائدة ضربات عنيفة سريعة وتغنى كأنها تصرخ بابا لو..
وهى أغنية أخرى من ترينيداد تروى عذاب الزنوج تحت
ضربات السياط.

إن هذه الأغاني - أغاني الزنوج فى ترينيداد - اكتسحت
أمريكا كلها.. اكتسحت البيض لا الزنوج فحسب وكل فتاة
بيضاء هناك تغنى كليسوبلوز وبابا لو ورومبا كيرو.. الخ.
وكل فتاة بيضاء ترقص رقصات الزنوج السامبا والمامبو
والووجى.. الخ.

وليس فى أمريكا فن إلا فن الزنوج.
ولا تصدر أمريكا من الفنون إلى العالم كله إلا فن الزنوج.

لماذا ؟

لأن الزنوج فى أمريكا هم وحدهم - باستثناء الهنود
الحممر - الذين لهم شخصية معينة مميزة احتفظوا بها منذ
سرقهم تجار الرقيق من وسط الغابة وجاهدوا فى الاحتفاظ
بها وسط بحور العذاب التى خاضوها حتى اليوم ولم تستطع
كل القوى التى اجتمعت عليهم أن تفقدهم هذه الشخصية حتى
المسيحية التى أمرهم أسيادهم باعتناقها لم تستطع أن تتغلب
على شخصيتهم الأصلية فهم يقرأون الانجيل فيصابون بهوس
كأنه هوس رجل الغابة ويسمعون التراتيل الدينية المسيحية
فتضج أجسادهم من تأثيرها حتى تتلوى ويصبحون فى
حركاتهم كأنهم عبدة النار يقذفون إليها بضحية جديدة.
أما باقى سكان أمريكا الذين وفدوا إليها من انجلترا
وفرنسا وألمانيا وهولندا.. الخ.. فقد فقدوا شخصيتهم الذاتية

بمجرد اجتماعهم بعضهم ببعض . لم يعد الانجليزى انجليزيا ولم يعد الفرنسى فرنسا ولم يعد الالماني ألمانيا.. إنما أصبحوا جميعا يكونون شيئا جديدا اسمه أمريكا لم تتكون شخصيته بعد.. شيئا يحاول أصحابه جاهدين أن يوجدوا له فنا خاصا قائما بذاته وحضارة قائمة بذاتها وهم فى سبيل ذلك يصممون مثلا على ارتداء القمصان المشجرة لأنه ليس هناك شعب آخر بلغ من قلة الذوق الفنى إلى حد ارتدائها.

وإلى أن يفلح سكان أمريكا فى إيجاد شخصية مميزة لهم - وسيفلحون على مر السنين - ستظل أمريكا خاضعة لفن الزنوج وموسيقى الزنوج ورقصات الزنوج.. لأن الفن هو تعبير عن شخصية وليس فى أمريكا اليوم شخصية قومية أقوى من شخصية الزنوج بحيث تستطيع أن تتغلب عليها.

إنى أحنى الرأس للشفاه الغليظة والأنوف الفطساء والشعر الأكرت.. لأنى أحترم الفن الذى يعبر عن شخصية أصيلة.. حتى ولو كانت شخصية الزنوج.

الحرية من الإنجاب

كلام الناس

إن أى طريق تسير فيه ستجد نفسك مضطرا
إلى أن تتنازل عن جزء كبير من حريتك وجزء
كبير من حقوقك الفردية.

وكلما اخترت الطريق الأصوب أو الطريق
□ الأكثر صلاحية للرقى ببلدك وجدت نفسك مضطرا لأن تتنازل
عن جزء كبير من حريتك وجزء كبير من حقوقك.
لم تعد الحرية هى حرية الفرد.
إنما هى حرية المجموع.

ولم تعد الحرية هى مجموعة من الحقوق تطالب بها لنفسك.
بل أصبحت مجموعة من الواجبات يطالب بها المجتمع.
ولا فرق - بناء على هذه النظرية - بين وضعك منذ آلاف
السنين عندما كان يحكم الدولة فرد واحد وبين وضعك فى
العالم الحديث إذا وجدت نفسك فى دولة شيوعية مثلا التى
يعتبرها أصحابها أرقى النظم السياسية والاقتصادية وأكثرها
تقدما.

فأنت تفقد الجزء الأكبر من حريتك الشخصية وحقوقك الفردية فى كلتا الحالتين تفقدها إذا كان يحكمك حاكم اقطاعى فردى وتفقدها إذا عشت فى ظل نظام شيوعى تقدمى.

ولكن الفرق الوحيد - وهو فرق كبير - هو أنك فى الحالة الأولى تتنازل عن حريتك وعن حقوقك لصالح فرد واحد لا يمثل إلا نفسه وفى الحالة الثانية تتنازل عن حريتك وحقوقك فى سبيل المجموع الذى أنت فرد فيه.

وحول هذا المعنى دارت معركة البشرية منذ بدء الخليقة.. فبعد أن كانت السلطة فى يد فرد يستغلها لصالح نفسه ويغتصبها بقدر قوته.. أى بعد أن كان كل فرد يستطيع أن يكون حكومة قائمة بذاتها لها كافة السلطات ولا تمثل إلا نفسها.. أصبحت الحكومة تمثل العائلة.. ثم أصبحت تمثل القبيلة.. ثم أصبحت تمثل طبقة الأقلية الإقطاعية أو الرأسمالية.. ثم أصبحت تمثل الأغلبية - أى المجموع.

وتبعاً لذلك أصبح الأفراد يتنازلون عن جزء كبير من حرياتهم لا تحت ضغط القوة ولا تحت ضغط طغيان الحاكم الفرد بل لاقتناعهم بأن الحكومة التى يتنازلون لها عن حقوقهم هى حكومة تمثل المجموع وتعمل لخير المجموع وحرية المجموع.

أقول هذا الكلام لأنك يجب أن تقتنع به إذا أردت أن تكون اشتراكياً أو على الأقل إذا أردت أن تفهم معنى مبادئ الاشتراكية.

فالاشتراكية ليست مبدأ عاطفياً يترك لك الحرية فى أن تعيش كما تشاء وتكسب كما تشاء بشرط أن تعطف على

الفقراء.. بالعكس فإن الاشتراكية - كما قلت فى مرة سابقة - لا تعطف على الفقراء ولا تحقد على الأغنياء. بل هى تكره الفقر ولا تشفق عليه إنما تقضى عليه لأنها تعتبره مرضا خطيرا يصيب الأمة كلها.

فإذا تبرعت بنصف مالك للفقراء أو وزعت أرضك - من تلقاء نفسك - على الفلاحين أو دعوت خدمك للجلوس معك على مائدة واحدة.. ثم اعتبرت نفسك بعد ذلك اشتراكيا فأنت مخطيء.

إن الاشتراكية تكره الإحسان وترفضه وتعارضه.. لأنه يجرح شعور الفقراء وينمى الكبرياء الخبيثة فى صدور الأغنياء ثم إنه يترك الفقر على حالته.. إن الإحسان أو الجمعيات الخيرية هى وسيلة أشبه بمعالجة السرطان بأقراص الأسيرين.

ثم من يدرك إنك لو أعطيت نصف مالك لفقير يستغله لمصلحة المجموع أو حتى لمصلحة نفسه.. ربما يعثر على هذا المال على موائد الخمر أو القمار أو استهلكه فى تدخين الحشيش أو تزوج به أربع نساء.. كما حدث خلال الحرب عندما ارتفعت أجور العمال..

ومن يدريك أن الفلاح الذى ستهبه أرضك يستطيع استغلالها ومن أين له رأس المال الذى يشتري به البذور والبهاائم والسماد.

ثم من يدريك أن الخدم يفضلون أن يجلسوا معك على مائدة واحدة.. وربما كانوا يستثقلون دمك وربما كان جلوسك معهم - بالنسبة لهم - نوعا من العقاب يتحملونه رغم أنوفهم

فى سبيل الأجر الذى تدفعه لهم.
إن الإشتراكية لا تقوم على العاطفة ولا على الإحسان
ولا تترك لك حرية الخيار.

إنها تقوم على سلسلة ضخمة متشعبة من القوانين تفرضها
الدولة وتضطر للخضوع لها ما دامت الدولة تمثل المجموع وما
دامت الاشتراكية هى إرادة المجموع.. ولن تستطيع فى هذه
الحالة أن تدعى أنك محسن كبير أو فاعل خير.. لأنك ستكون
مضطرا رغم أنفك وبحكم القانون إلى الإحسان للمجموع كله..
فإذا عصيت وقعت تحت طائلة القانون وإذا تماديت فى
عصيانك اتهمت بمحاولة قلب نظام الحكم.

وهذه القوانين الاشتراكية ستأخذ منك جزءا كبيرا من
حريتك ومن حقوقك الشخصية.. وستتنازل أنت عن هذا الجزء
راضيا كريما مادمت مؤمنا بالاشتراكية وما دمت مؤمنا بأن
واجب الدولة أن تعمل لخير المجموع لا لخير الأفراد..
إنك مثلا - فى ظل هذه القوانين - لا تستطيع أن تكون
مليونيرا ولا تستطيع أيضا أن تكون فقيرا.. حتى لو كنت
غاوى فقرا.

ولن تستطيع مثلا - أيضا - أن ترسل ابنك ليتعلم فى
انجلترا أو فرنسا إلا إذا رأت الدولة أن ابنك قد ظهر عليه من
علامات العبقرية ما يؤهله لإتمام تعليمه فى انجلترا ليعود فى
خدمة المجموع.

وهى - كما قلت - قوانين متشعبة لن تقتصر على الناحية
الاقتصادية بل ستمتد إلى أدق شؤونك الخاصة.. ستمتد إلى
الصحافة.. فإن الصحافة اليوم - فى أغلب بلاد العالم - تمثل

مبدأ واحدا هو الرأسمالية لأنك لا تستطيع أن تصدر صحيفة إلا إذا كنت صاحب رأسمال ضخم وستخصص جريدتك بالطبع لخدمة مصالحك ولن تسمح لى مثلا بأن أكتب فيها هذه السطور التى أكتبها الآن لأنى أدعو إلى الاشتراكية التى تتعارض مع مصالحك.

لذلك فإن الدولة الاشتراكية ستتدخل فى شئون الصحافة بفرض عدة قوانين بحيث ينخفض ثمن الورق فاستطيع أن أبيع لك روز اليوسف بقرش صاغ بدلا من ثلاثة قروش حتى تصل الدعوة الاشتراكية إلى أكبر عدد من القراء أو قد تؤمم المطابع فاستطيع أن أصدر جريدة يومية دون حاجة إلى شراء مطبعة تكلفنى مائة ألف جنيه أو دون حاجة إلى أن أدفع أجرا مغالى فيه يعجزنى عن إصدار الجريدة.. وليس معنى ذلك أنى شخصيا فى هذه الحالة - سأكسب من إصدار الصحيفة بحيث أصبح فى خلال عدة سنوات رأسماليا آخر فإن الدولة الاشتراكية ستستولى على الجزء الأكبر من أرباح الجريدة عن طريق الضرائب لتستغله لصالح المجموع وتحقق به المساواة بين الأفراد.. وستقل أرباحى كثيرا - فى ظل الاشتراكية - عما هى عليه الآن حتى لو أصبحت دار روز اليوسف تصدر عشر صحف ومجلات.

ومن هذا تفهم لماذا تحارب الصحف الكبرى - فى جميع أنحاء العالم - الاشتراكية وتتهم أنصارها بأنهم شيوعيون ومخربون وهدامون.

وقس على الصحف جميع وسائل النشاط الاجتماعى.. الإذاعة.. المدارس.. المساجد.. المصانع.. الخ.

وأقرب مثل لتشعب القوانين الاشتراكية بحيث تشمل جميع نواحي الحياة هو ما حدث عند إعلان مشروع الإصلاح الزراعى.. فإن الدولة لم تكثف بإصدار قانون واحد يحدد الملكية وينظم توزيع الاراضى على الفلاحين بل أعقبت ذلك بغلة-قوانين كثيرة تنظم الإيجارات وتنظم الجمعيات التعاونية وتنظم توزيع الحبوب عن طريق بنك التسليف وتنظم عمليات بيع المحصول وتنظم إرشاد الفلاح إلى الوسائل الزراعية وإلى طرق رفع مستواه الثقافى والصحى.. الخ.

ولكن ما هو الهدف الأخير من كل هذه القوانين الاشتراكية؟

الهدف : هو المساواة.

المساواة الكاملة .

والذى يعتقد أن الاشتراكية هى ما يسمونه تكافؤ الفرص أى أن نعطي لكل فرد الفرصة لأن يكون مليونيرا مثلاً.. ثم هو وشطارته.. الذى يعتقد هذا الاعتقاد ليس اشتراكيا إنما هو مضلل يريد أن يضحك على الناس بتعبير لا معنى له.

فإن الاشتراكية تقوم على المساواة بمعنى المساواة الحقيقية البسيطة والفرص لن تتكافأ أمام الأفراد إلا إذا كان هؤلاء الأفراد متساوين أولاً فى رأس المال وفى الدخل.

ثم إذا أعطيناك الفرصة لتكون مليونيرا فمعنى ذلك أننا حرمانا عشرات أو آلافا غيرك من أن يكونوا من أصحاب الملايين لأنك لا تستطيع أن تزيد مالك إلا إذا أخذت هذه الزيادة من جيب غيرك سواء أخذته بطرق مشروعة أو غير مشروعة.

وكل ما تسمح به الاشتراكية من فروق بين الأفراد هو أن يتحركوا بين حد أدنى للدخل وحد أقصى.. أى أن يكون الحد

الأدنى لك ثلاثين جنيها في الشهر مثلا ويكون الحد الأقصى ٥٠٠ جنيه - مثلا أيضا - فإذا قل دخلك عن ثلاثين جنيها نتيجة انقطاعك عن العمل عوضتك الدولة في صورة خدمات تقدمها لك.. وإذا زاد دخلك على ٥٠٠ جنيه أخذت الدولة هذه الزيادة في صورة ضرائب وأعادت إلى المجموع في صورة خدمات.

وهذه هي أكثر صور الاشتراكية تساهلا.

ولكن كيف تتحقق هذه المساواة؟

إننا ردا على هذه التساؤل سنضطر إلى التحدث في الاقتصاد السياسى.. وقد كرهت دائما كلمة الاقتصاد وخصوصا كلمة اقتصاد سياسى إلى أن علمت أن هذا الاقتصاد السياسى ليس سوى صورة مكبرة للطريقة التى تدبر بها زوجتك وزوجتى مصروف البيت.. كل ما هناك أن الحكومة - فى الاقتصاد السياسى - هى التى تقوم بدور الزوجة.

بقى أن تعرف كيف تستطيع الحكومة أن تكون زوجة ذكية مدبرة تحقق السعادة والمساواة بين جميع أفراد العائلة.. العائلة المصرية.

أنياب والرخاء

إننا نردد عدة شعارات دون أن يكون لها معنى محدود في أذهاننا.. الحرية.. الرخاء.. الشخصية المستقلة.. القومية العربية.. الخ.. كلها شعارات نؤمن بها.. ونبنى بها حاضرنا ومستقبلنا دون أن نحدد معناها.. وعدم تحديد معان لهذه الشعارات يجعلها تقع في أيد ملوثة تستطيع أن تضللنا بها ، وتستعملها ضدنا.

إن أمريكا تعد العنم بالحرية.. ولكن الحرية التي نؤمن بها غير الحرية التي تدعو إليها أمريكا.

وأمريكا تعد العالم بالرخاء.. ولكن الرخاء الذي نسعى إليه غير الرخاء الذي تسعى به إلينا أمريكا.

قد سبق أن نشرت روز اليوسف عدة أبحاث عن الحرية وأتمنى لو يشاركني زملائي مرة أخرى في تحديد معنى «الرخاء».

إن بيننا من يعتقد أن الرخاء هو أن يتضاعف عدد أصحاب

الملايين المصريين وأن يباح السفر إلى الخارج.. وأن نستورد البارفان من باريس والقماش الصوف من إنجلترا واللبان والسيارات من أمريكا.

ليس هذا هو الرخاء.. إنه منتهى الفقر.. الرخاء لا يتحقق بازدياد أصحاب الملايين بل يتحقق بارتفاع الدخل الفردي لمجموع الشعب.. دخل الفلاح والعامل الصغير والتاجر والموظف.. ولا يتحقق الرخاء بإباحة السفر إلى الخارج لعدد من الأفراد القادرين ، بل يتحقق عندما يستطيع كل فرد فى مصر أن يسافر إلى الاسكندرية أو إلى رأس البر.. وليس من علامات الرخاء أن نستورد البارفان من باريس بل علاماته أن نصنع البارفان والسيارات والقماش الصوف فى مصر.

الرخاء ليس معناه أن يكون بيننا أغنياء بل معناه أن نكون أمة غنية.

وقد ذهب تاجر كبير من تجار السجاجيد يشكو للرئيس جمال عبدالناصر كساد تجارته.. إنه لا يجد المشترين للسجاد الإيراني والبخارى والشنواه.. وهو يعتقد أن الحالة الاقتصادية زفت.

ونصح الرئيس بالآ يعتمد فى تجارته على نفس الطبقة التى كان يعتمد عليها قبل الثورة.. طبقة الاقطاعيين الذين كانوا يدفعون الألف جنيه فى سجادة لا تزيد مساحتها على متر طولاً ونصف متر عرضاً.. وأن يحاول أن يبيع السجاد للشعب وأن يكون بالثمن الذى يتحمله الرجل العادى.

واقترح التاجر بالنصيحة، واتجه بتجارته اتجاهاً جديداً.. اتجه إلى عشرات الألوف من الناس بعد أن كان يعتمد على

أفراد معدودين من الأثرياء.. فافتتح مصنعا للسجاد المحلى..
سجاد يصنع فى مصر من خامة مصرية بأيدي عمال
مصريين.. وبدأ يبيع للألوف.. فربح وزاد ربحه عما كان عليه
قبل الثورة.. واقتنع بأن الحالة الاقتصادية عال.

وهذا هو مظهر من مظاهر الرخاء.

وسيكتمل الرخاء عندما يكون عندنا من المصانع ما يكفى
لاستيعاب الأيدي العاملة بحيث لا يكون بيننا عاطل.. وعندما
ننشئ من المدارس ما يكفى الناس كلهم بحيث لا يكون بيننا
جاهل.. وعندما نبني من المستشفيات ما يكفى المرضى كلهم
حتى لا يكون بيننا مريض.

ولن يتحقق هذا الرخاء إلا بعد فترة حرمان طويل.. بعد
تقتير على أنفسنا لنسخو على مشروعاتنا الجديدة.
والذين يؤمنون بالحرمان هم الذين يبشرون بالرخاء.

المثلة والكاتب

كانت فاتن حمامة تحدثني عن عمارتها الجديدة التي تبنيها في مصر الجديدة وسألتها ..
بلا حسد :

□ - لماذا تستطيع الممثلة أن تبني من أرباحها ،
ولا يستطيع الكاتب أن يبني ولو كوخا. إننا لم نسمع عن كاتب
واحد بنى عمارة من الكتابة مهما بلغ نجاحه في حين أن معظم
الممثلات الناجحات أصبحن صاحبات عمارات .
وقالت فاتن :

- إن الممثلة لا تعيش لفنها طويلا .. إنها كالوردة تذبل
سريعا .. يضع سنوات ثم تصبح خردة لا تصلح للظهور على
الشاشة وهي لذلك تستحق أجرا كبيرا بحيث تجمع في هذه
السنوات القليلة ما يكفيها العمر كله .. أما الكاتب فهو يظل
يكتب طول العمر ويظل يربح من وراء قلمه طول العمر ..
ولو جمعت ما يربحه الكاتب في عمره الطويل لكان أضعاف

ما تروبحه الممثلة فى عمرها القصير .

ولم أقر فاتن على رأيها ..

إن الممثلة الفنانة لا تذبل أبدا .. وقد بلغت الممثلة الأمريكية
بتى ديفيز الخامسة والستين من عمرها ولا تزال نجمة لامعة
تمثل أدوار الشابات .. وفاتن لن تذبل لأنها لا تعتمد فى أداء
أدوارها على جمالها ولا على فتنها إنما تعتمد على فنها والفن
لا يشيخ .. إن الفن شباب دائم .. وبعد ثلاثين عاما سنرى
فاتن على الشاشة كما نراها اليوم وربما تؤدى نفس الأدوار ..
أدوار الفتيات .. وقد كانت سارة برنارد فى الأربعين من
عمرها وهى تؤدى على المسرح دورها فى مسرحية اليتيمات
.. دور صبية صغيرة .

والممثلة التى تذبل هى الممثلة التى تجتذب جمهورها بجمالها
وإغراء فتنها لا بفنها ! .. وهذه تذبل سريعا لا بحكم السن بل
بحكم الملل .. إن الجمهور يمل الجميلات سريعا .

وكذلك الكاتب .. نفس الوضع فالكاتب الذى يجتذب
جمهوره بالمنطق الجميل يخفق سريعا ويمله قراؤه .. أما
الكاتب الفنان الذى يعتمد على الفكرة ويستطيع أن يعكس
تطور المجتمع على صفحة نفسه ثم يصور مشاكله بقلمه .. هذا
الكاتب لا يذبل أبدا إنما يظل يكتب طول عمره ويجتذب إليه
الأجيال جيلا بعد جيل .

ولم تقنع برأى .. ربما لمنع الحسد عن عمارتها .

الآن

لم يكن يعتقد أن في حياته اليومية العادية كل هذه المشاكل .. إلى أن سافرت زوجته إلى المصيف وتركته وحده في القاهرة .

□ إن اختيار البدلة والكرافتة والقميص يستغرق أكثر من عشر دقائق .. والرد على السؤال البسيط نأكل إليه النهارده يستغرق من تفكيره ربع ساعة .. ومحاسبة الطباخ نصف ساعة .. و .. و .. واكتشف أنه نسي أن يرسل ثيابه الداخلية إلى الغسيل فخرج وهو يلبس بدلته على اللحم واكتشف أنه لم يرسل قمصانه إلى المكوجى فاضطر أن يلبس قميصه ثلاثة أيام حتى أصبح القميص في لون جلده الأسمر .. ثم اختفت جواربه لا يدرى أين وفوجيء بأن أنبوية معجون الأسنان قد فرغت وأن ليس عنده أمواس حلقة واضطربت حياته في بيته واضطربت حياته في عمله وعندما عادت زوجته انحنى في خشوع يقبل يدها .. فلم يكن يدرى أنها مهمة في حياته إلى هذا الحد .

السراة

الفتاة الطموح لا تستطيع أن تحب .. إن طموحها يغلف عواطفها وأنوثتها حتى لا تعود تراهما أو تحس بهما .. وكلما اشتد طموحها بعدت عن عواطفها وأنوثتها .

وقد روت لى قصتها .. قصة فتاة فى السادسة عشرة من عمرها أحبت .. وكان يمكن أن تسعد بحبها .. ولكن طموحها غلف هذا الحب بغلاف سميك فلم تعد تحس به وظنت أنها تستطيع أن تستغنى عنه .. وسارت فى الطريق الطويل الذى اختارته لنفسها .. الطريق الذى لا ينتهى .. ولم يعد الرجال فى حياتها سوى درجات سلم تصعد عليه وبعضهم غذاء لا بد منه .. إلى أن وصلت .. أو تعبت من كثرة الصعود فاستراحت على إحدى القمم .. واسترخى طموحها وبدأ الغلاف السميك ينزاح عن عواطفها .. وعادت تحس بالحب .. نفس الرجل الذى أحبته وهى فى السادسة عشرة .. وبدأت تتساءل : هل أخطأت عندما ضحت به فى سبيل طموحها .. وبدأت تحس بالندم .. تحس أنها ضيعت عمرها فى سبيل أوهاام .. إن كل ما وصلت

إليه أوهام .. الشهرة والمال والنجاح .. كلها أوهام .. إن الحقيقة الوحيدة فى حياتها قد ضيعتها .. الحقيقة الوحيدة فى الحياة كلها هى الحب .

وخرجت تبحث عنه . نفس الفتى الذى ضيعته .. وجدته فى الثامنة والثلاثين من عمره .. قويا يافعا لا يزال فى مرح صباه .

وتقدمت إليه فى خطى مرتجفة وعيناها معلقتان بوجهه الأسمر .

ونظر إليها وكأنما يتذكر شيئا ثم قال :

-- ياه .. مالك عجزت كده .. اللي يشوفك يقول عليك أكبر منى . وأحسنت كأنه طعنها .. إنها فعلا تبدو عجوزا .. لقد امتص طموحها شبابها وكل حيويتها .. وتركها تقلا كالبرتقالة المصوصة .

وقالت فى صوت مرتعش :

- حدثنى عن نفسك .

ولم يحدثها وإنما جذبها من يديها كأنها طفلة وسار بها إلى بيته .. بيت متواضع ليس كبيتها . ليس فيه نجف كريستال ولا مقاعد أوبيسون .. ولكن فيه ضحك ومرح وطيبة وحب .. زوجته تضحك .. وأولاده يضحكون .. والمقاعد الخشبية تضحك .

وقال لزوجته وهو يقدمها إليها : ألا تعرفينها .. إنها حبيبى الأول .

وقالت لزوجته فى مرح : أهلا .. أنا حبه الأخير . وعادت إلى قصرها الأنيق .. إلى الوحشة والفراغ .. والندم .

سبعين

احتفل أسعد زوجين في مصر بعيد زواجهما
الثاني عشر .

ما سر هذه السعادة التي لم تنقطع يوما
واحدا خلال اثنتي عشرة سنة ؟ □
السبب .. هو عدم الفراغ .

الزوج يذهب إلى مكتبه في الصباح .. ويعود إلى بيته في
الظهر ليقبل زوجته من وجنتيها ويبادلها كلمتين حلوين ثم
يتناول غداءه ويستريح في فراشه ، ثم يقود ليعود إلى مكتبه
وينتهي منه في الساعة التاسعة فيصحب زوجته إلى السينما
أو يعود إلى بيته ليقرأ كتابا .. ثم يجد كل منهما نفسه بين
ذراعي الآخر .

والزوجة تجد دائما ما تعمله في بيتها .. لقد تزوجته وهو
فقير فكانت تطبخ وتكنس وتغسل الصحون بنفسها .. ثم
أصبح غنيا وأصبح لها طبّاخ وسفّرجى ودادة .. ولكنها - رغم

ذلك .. لا تزال تشرف على المطبخ بنفسها ولا تزال تجلس مع أولادها لتناولهم الطعام .. ولا تزال تستذكر معهم الدروس ولا تزال تعد ثياب زوجها بنفسها وتنتقيها له بذوقها . إنها دائماً تجد ما تعمله فإذا انتهت من كل شيء جلست بجانب الزوج وهو يقرأ وبين يديها إبر التريكو .

ليس في حياتهما فراغ يترك مجالا لمشكلة تثور بينهما أو يشيع في نفس أحدهما الملل من الآخر أو الملل من البيت أو الملل من الحياة .

وليس في حياتهما فراغ يفتح بابا لتدخل الأصدقاء في شئونهما الخاصة .. فالأصدقاء بالنسبة لهما صورة جميلة .. والصورة تبدو أجمل إذا نظرت إليها من بعيد .

وليس في حياتهما فراغ يحتله الأهل وتستغله حماتها أو حماته فكل منهما يقدس أهله ويقدر - على الأخص أمه - والأشياء المقدسة توضع فوق الرؤوس ولا توضع على الأرض حتى لا تصطدم بها الأقدام .

وليس في حياتهما فراغ يترك للزوجة وقتا لتفتش جيوب زوجها أو يترك للزوج وقتا ليحصى على الزوجة خروجها ودخولها إنما ازدحام الحياة حولهما جعل كلا منهما مضطرا لأن يثق في الآخر وهو مطمئن إلى أن ثقته في محلها . إن الانتصار على الفراغ هو سر سعادتهما والفراغ هو العدو للأزواج والزوجات .

رياضية روحية

إنى مريض هذا الأسبوع .. وقد بلغ عدد
الأدوية التى أمر لى الطبيب بها خمسة أدوية كلها
بعد الأكل .. وبلغ عدد أصناف الأكل التى سمح
لى بها صنفا واحدا . □

إنى مريض وفى رأسى مطارق لا تكف عن تعذيبى .. وفى
أمعائى ألم لا يرحمنى .. ورغم ذلك فإنى أكتب .. أكتب عن
الحب .. وأكتب عن المبادئ السياسية وعن الأدب .. و .. و ..
وأنام فوق مكتبى فى الساعة الثالثة صباحا .
لماذا لا أستريح ؟

لا أدرى .. ولكنى كلما تعذبت اندفعت إلى قلمى .. إنه كل
ما أملك من قوة إنه سلاحى الوحيد .. أتحدى به العذاب
وأتحدى به مصرانى الغليظ .

لا .. إنى لا أتحدى بل إنى أتوسل إلى المجهول ليرحمنى ..
أتوسل بتعذيب نفسى فوق الورق .. إن هذا التعذيب نوع من

الرياضة النفسية أو نوع من اليوجا التى يتوسل بها الهنود
للسيطرة على أجسادهم .
إن العمل عبادة .. وأنا أعبد الله فى عملى .. لعله ينصرنى
على صداعى ..
ادعوا لى ..

النظارة السوداء

بعض الناشرين وكثير من القراء يلحون فى إصدار طبعة ثانية من قصتى النظارة السوداء . وقرأت القصة فى الأسبوع الماضى ولم أكن قد قرأتها منذ كتبتها أى منذ أربع سنوات .. وأحسست وأنا بين الصفحات أنى شاهدت صورتي وأنا بالبنطلون القصير .

إن شعراتى البيض ليس لها أثر فى السطور والتجاعيد التى تحت عينى لا تبدو مع الكلمات .. لقد كنت فى هذه القصة - ومنذ أربع سنوات فقط - شابا مندفعاً جريئاً .. يملأ إرادته فى بساطة وقوة دون أن يهمله شئ ودون أن يحسب حساباً لأحد ودون أن يشعر أنه مسئول عن تفسير إرادته .. إنه يلقى بآرائه كأنها أوامر فمن أطاع فأهلاً وسهلاً ومن تردد فى طاعته فالويل له .

وأحسست أنى أريد أن أكتب القصة من جديد .. أن أضع

فيها شعراتي البيض والتجاعيد التي تحت عيني والبسها
البنطلون الطويل .

إنى ما زلت مؤمنا بالمبادئ التي تقوم عليها هذه القصة
وما زلت مؤمنا بالهدف الذي تسعى إليه والصراحة التي كتبت
بها .. ولكنى أشعر أنى أستطيع أن أصل بها إلى أعماق أبعد
وأستطيع أن ألقى عليها أضواء أكثر وأستطيع أن أفتح فيها
نوافذ جديدة لذهن القارئ .

هل أفعل ؟

إنى لو فعلت لأصبحت قصة جديدة غير القصة التي يريد
الناشرون والقراء إعادة طبعها .. وإن لم أفعل لبدت شخصيتى
الحالية التي يراها القارئ فى قصصى الجديدة ناقصة
مبتورة .. وقد وقع فى هذه الحيرة جميع الكتاب وأذكر أنى
قرأت مقدمة لطبعة ثانية من كتاب لكاتب لا أذكره الآن - لعله
برتراند رسل أو هـ د. لورنس - أبدى فيها هذه الحيرة ثم
نشر صورته عندما أصدر الطبعة الأولى وصورته عند إصدار
الطبعة الثانية وقال : إن الفرق بين الطبعتين هو الفرق بين
الصورتين .

ورغم ذلك فإنى أفضل أن أترك القصة كما هى فإنى ما زلت
أحب شبابى الذى ذهب منذ أربع سنوات فقط .. وبالمناسبة إن
أمنيته فى الحياة أن أصبح كاتب قصة هل أستطيع أن أحقق
أمنيته .. إنى أعلم أن الطريق لا يزال طويلا وشاقا .

السنة الطنائة

أول يناير ..

إن عيد ميلاده يوافق يوم الاحتفال بعيد رأس السنة وقد تعود أن يحتفل كل عام بيوم ميلاده وكان يحاول دائما أن يقنع نفسه بأنه سعيد الحظ إذ يولد فى يوم يحتفل العالم كله به .

وكان يحاول دائما أن يبدو سعيدا فى ذلك اليوم وأن يضحك وأن يضع قلبه على كف يده ليقدمه لكل من يعبر حياته .

ولكنه لم يستطع أبدا أن يكون سعيدا ، وخصوصا فى ذلك اليوم .

إنه يشعر فى كل مرة يحتفل فيها بعيد ميلاده إنه نادم على ما فات وخائف مما هو آت .. وهو يشعر دائما أنه فشل وسيفشل وإن كان الناس يعتقدون ويؤكدون أنه نجح وسينجح .

إنه فاشل إذا قاس أعماله بما يريد أن يعمل .. وناجح إذا

قاس أعماله بما يريد منه الناس أن يعمل ، وهو إذ يقلب أوراق حياته تبدو له أيامه كلها سوداء لا يرى منها نورا يهديه إلى الطريق الذى أتى منه أو الطريق الذى سيذهب فيه .

ولكن عن أى طريق يبحث ؟ وأى هدف يريد أن يصل إليه ؟ هل يريد أن يصبح كاتباً ؟ هل يريد أن يصبح مشهوراً ؟ هل يريد أن يصبح غنياً ؟ هل يريد أن يصبح سياسياً ؟

إنه لا يدري .. لا يدري أين يذهب .. ولا من أين أتى .. لقد وجد نفسه يكتب دون أن يتعمد أن يكتب ، وقد أمسك بقلمه لأول مرة وهو فى الرابعة من عمره وخط خطوطاً لا معنى لها على ورقة بيضاء ، فسأله والده باسم « ما هذا الذى تخطه » ؟

فأجاب فى سذاجة الأطفال « إنها أعواد من القش » !!

ونظر الوالد إلى الخطوط التى خطها الابن فوجدتها حقيقة تمثل أعواد القش .. فابتسم فرحاً فخوراً بابه الذى استطاع أن يرسم « القش » فى مثل هذه السن !

ولكن الابن عندما رسم خطوط القش لم يكن يقصد أن يرسمها وإنما أجرى قلمه على الورق بلا فكر وبلا هدف ثم نظر ليرى النتيجة فإذا بها أعواد من القش .

وهو من يومها يجرى قلمه على الورق ويترك له العنان ليكتب ويكتب وليس له من دافع إلا هواجس نفسه ونبضات قلبه ، ولو أغمض عينيه وهو يكتب لكانت النتيجة واحدة فهو لا يكتب بعينه ولا برأسه إنما يكتب بأعصابه وروحه وبعد أن ينتهى من الكتابة ينظر إلى الورقة ليرى ماذا كتب ويفاجأ كما يفاجأ أى قارئ عادى وكأنه ليس صاحب القلم الذى كتب ..

والناس تعجب بما يكتب كما أعجب به والده عندما رسم أعواد القش وهو فى الرابعة من عمره ، وقد تطور هذا الإعجاب

حتى وصل به إلى مرتبة الشهرة ، وأصبح الناس يعتبرونه كاتباً بين الكتاب وأصبحوا يثقون به ويدعونه صاحب رسالة وينتظرونه كل أسبوع على صفحات الجريدة التي يكتب فيها ، ولكنه هو نفسه لا يعجب بنفسه ولا يحس بالشهرة التي وصل إليها ، لأنه لا يعتبر نفسه كاتباً بل يعتبر نفسه طفلاً بلا عقل ، يجرى قلمه على الورق بلا إرادة وبلا وعى ولتكن النتيجة ما تكون.

وهو يخشى ثقة الناس به لأنه يعتقد أن هذه الثقة ليست قائمة على أسس في نفسه يستطيع أن يتحكم فيها بل هي قائمة على ذلك الإلهام الذي يدفع بقلمه على الورق دون وعى منه وهو إلهام لا يستطيع أن يتحكم فيه ولا أن يحركه عندما يريد ، بل هو نوع من النبضات العصبية التي تثور في نفسه ثم تسرى إلى يده فترتفع من تلقاء نفسها لتمسك بالقلم وتكتب ، ولذلك فهو يخشى أن ينتظره أحد ليقراً ما يكتب لأن هذا الإلهام لا يتقيد بمواعيد صدور الجريدة ولا بمواعيد المطبعة، بل هو يتحرك في أوقات لا ينتظرها هو نفسه ، وقد لا يتحرك أبداً ، قد يمر أسبوع ويده لا تريد أن تمتد إلى القلم ، في حين أنه يجب أن يكتب لأن المطبعة تنتظر .. وهنا تمر عليه أسوأ أيام حياته فهو لا يستطيع أن يكتب عندما يريد بل إن أصدقائه الخصوصيين يعلمون عنه أنه لا يعرف من قواعد اللغة العربية ما يكفي لأن يضع كلمات بجانب بعضها لتكون منها جملة مفيدة .. إنه في هذه الحالة يجن وقد يبكي ، وأحياناً يرق إلهامه لدموعه فيدفع قلمه ليكتب ، وأحياناً يعصاه إلهامه فيتخفى عن الناس وعن أصحاب جريدته معتذراً بمرض أو بحدث.

فهو إذن ليس كاتباً فى نظر نفسه وإن كان كاتباً فى نظر الناس !!

هل يريد أن يكون سياسياً ؟

إنه لم يشعر بنفسه سياسياً أبداً ، إنه يرى أحياناً فى السياسة معميات يصعب عليه فهمها ويضل فيها عقله ، وهو ينظر إلى السياسيين وكأنهم قوم غرباء عنه ليس لهم عقلية ولا روحه ، وحينما يجلس بينهم يحس أنهم يتكلمون لغة لا يفهمها بل ويمقتها .. ولكنه إن أنكر على نفسه صفة السياسى فلا يستطيع أن ينكر أنه وطنى وهو يفهم الوطنية كما يفهمها رجل الشارع .. يفهمها واضحة جليلة مستقيمة كحد السيف ، فلا يحاول أن يدس بوطنيته فى سواد الدبلوماسية ولا فى همسات الدوائر العليا .

وهذا الفهم للوطنية لا يحتاج إلى ذكاء نادر ولا إلى موهبة شاذة ، ولا إلى فكر خارق للعادة ، بل هو فهم بسيط لا يتميز به عن أى رجل ساذج من الشعب ، بل إن الفلاح فى حقله قد يقيس الوطنية بأقوال العمدة ، والعامل فى مصنعه قد يقيسها بما يطالب به من تحسين حاله .. أما هو فوظيفته مجردة لا تكلفه إلا أن يحس ، فهو يطالب بالجلاء - مثلاً - بنفس الطريقة التى يحاول بها كلب مقيد أن يحطم قيده ولو أحس كل أفراد الشعب بأنهم كلاب مقيدون لتم الجلاء منذ عشرات السنين !!

ورغم هذه البساطة أو السذاجة التى يفكر بها ويكتب بها فى شئون وطنه فإن الناس قد اعتبروه سياسياً واعتبره البعض سياسياً داهية !! .. فحملوا الفاظه أكثر مما كان يعنيه وأخذوا حملاته التى لا يدفعه إليها إلا وميض أعصابه ونور قلبه ، أخذوها مأخذ شتى ليست وطنية بل سياسية !.. وخرج

من ذلك بمبدأ آمن به وهو : « كلما كنت بسيطاً بدت معقداً في نظر الناس ويوم أن تكون معقداً ستبدو بسيطاً » !!

هل يريد أن يكون غنياً ؟

لقد صار فعلاً غنياً لو أن الغنى يقاس بالمال ، فقد كان دخله منذ عامين خمسة وعشرين جنيهاً في الشهر ، ودخله في شهر ديسمبر الحالي وصل إلى مائتين وخمسين جنيهاً - بلا مبالغة - ولكنه منذ عامين كان يصرف ثلاثين جنيهاً في الشهر ، وهو اليوم يصرف ثلاثمائة جنيهاً ، فهو غارق في الدين في كلتا الحالتين ، وهو في كلتا الحالتين ليس سعيداً .. وكلما زاد داخله كلفه بحثه عن السعادة أكثر .

إنه إذن كاتب وليس بكاتب ، مشهور وليس بمشهور سياسي وليس بسياسي ، غني وليس بغني ، وهذا هو سر روحه التائهة ، وقلبه القلق ، وفكره الشارد ، والسؤال الذي بحث عنه هو :

- هل أنا لا أقدر نفسي حق قدرها ، أم أن الناس يقدرُوني أكثر من قدرى ؟!

إن سيدة واحدة تشاركه البحث عن هذا السؤال ، وهي لا تبحث عنه بين الناس بل تبحث عنه في نفسه ، وكلما ظنت أنها وصلت إلى غور نفسه بدت لها فيه أغوار جديدة ، إنه يخشى عليها أن تتوه معه ، وهي تخشى عليه أن يتوه منها !! إنها السيدة الوحيدة التي تحتفل معه بعيد ميلاده ، فتصمت معه طول الليل لتتركه يحاسب نفسه ، فإذا ما انتهى من الحساب وهو عسير ، بكى وضمها إلى صدره ثم حمد الله !!

الاستعراض

أعلنت الثورة على نفسي ابتداء من يوم
الثلاثاء الماضي الساعة الثالثة صباحاً ، وكنت
ساعتها جالسا إلى مكتبي أكتب مقالا عن الموقف
السياسي ، وفجأة توقفت ورفعت رأسي عن
الورق فإذا بي أواجه نفسي لأول مرة منذ أسابيع قضيتها أنا
وقلمي بعيدين عن نفسي ، وإذا بسلسلة اتهامات تنهال على
كان أشنعها وأخطرها اتهامي بأنني في طريقي لأن أكون كاتباً
محترفا .

وما كادت تتضح لي حقيقة هذه التهمة حتى سقط القلم من
بين أصابعي وامتدت يدي إلى الورق تمرقه وكأنها تمرق أوراق
تحقيق في جناية تلبس .

هل أنا حقيقة كاتب محترف ؟

ولكن كيف لا أكون محترفا ، وأنا أكتب الموقف السياسي
في ثلاث جرائد أسبوعية ، وأكتب المقال الافتتاحي في

جريدتين أسبوعيتين ، وأراجع مقالات فى ثلاث جرائد .. وأعطى رءوس مواضيع لتوزع أسبوعيا على خمسة وعشرين محررا يعملون فى جريدتين أسبوعيتين ، ومسئول عن الأخبار الكبيرة فى ثلاث جرائد إحداها يومية (والأخبار الكبيرة تعبير ابتكره إدجار جلاد بك ويقصد به خبر استقالة الوزارة أو خبر ترقية عباس أفندى الأشمونى إلى الدرجة السابعة !!) .

كيف لا أكون محترفا بعد ذلك ؟ بل كيف لا أكون تاجرا من تجار اللب والحمص ؟ بل لماذا لا أسمى نفسى : إحسان الصاوى محمد .. وأنتهى !! واسمى نفسى : إحسان عبد القادر المازنى .. وعلى رحمة الله !!

إنى محترف ونص .. محترف جدا .. وبدأت السياط القاسية تنهال على نفسى التى تعيش بين جنبى ، سياط الفن الذى لم يكلفنى شيئا بل ولدت به وعشت فى كنفه ورغم ذلك خفته ، وسيرت قلمى لأرضى غرورى قبل أن أرضيه .

نعم .. كان السبب هو الغرور ، فقد كنت أقيس نجاحى بعدد أصحاب الصحف الكبيرة الذين يتقدمون إلى فى تودد ويغروننى بالعمل معهم بكل ما يملكون من وسائل الإغراء وكنت أقبل عروضهم فى سبيل إرضاء هذا الغرور ، محاولا إقناع نفسى بأننى بذلك أفتح لقلمى ميادين جديدة .

وقد فتحت عدة ميادين جديدة ، وكانت النتيجة أن عجز قلمى عن أن ينتصر نصرا حاسما فى واحد من هذه الميادين ، وأصبح يكتب ليصد قوات العدو لا ليقضى عليها .. أو بمعنى آخر أصبح يكتب ليرضى القراء لا ليرضى نفسه ..

وغالبا ما يرضى القراء على ما يستخفه الكاتب !!
وانتهت ثورتى على نفسى بأن بدأت اختصر من ميايدين
العمل وبدأت أعود ثانية لأحس بقلمى عندما أحتضنه بين
أصابعى وأرقص به على الورق فى بهو الفن الهادئ المحرم
الدخول إليه على الجماهير !
لقد عادت إلى نفسى التى فرت منى خلال الأسابيع
الماضية.. عادت إلى وقد غفرت لى .. عادت إلى بعد أن طهرت
نفسى من الاحتراف .. عادت لتستريح فى صدرى .. صدر
الفنان .. ولأنعم بها لا أريد منها ولا تريد منى إلا أن نعيش
لنكتب ، لا أن نكتب لنعيش !

رقم الإيداع ٩٩/٧١٣٣

التقييم الدولي

I. S. B. N.

977 - 08 - 0822 - 9

746

۵ جنيہات

طبع بمطابع اخبار اليوم

